جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الخطاب الروائي عند بهاء طاهر نقطة النور أنموذجا "دراسة أسلوبية"

الدكتور

حمد اللّه عبد الحكيم محمد حمد اللّه

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب الروائي عند بهاء طاهر نقطة النور أنموذجا "دراسة أسلوبية"

حمد اللّه عبد الحكيم محمد حمد اللّه

قسم البلاغة والنقد الأدبي ـ كلية الآداب ـ جامعة جنوب الوادي ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Hamdallah.abdelhakeem@art.svu.edu.eg

الملخص

للفن دور في قراءة أحداث الواقع والتفاعل معه والتنفيس عن المتلقي، والرواية في مقدمة هذه الفنون، لذا حرص البحث على قراءة الخطاب الروائي لجيل الستينات وتيار الوعي الذي كشف بلا غموض هموم الوطن ومشكلاته بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وسلط الضوء على ضحايا الانفتاح الاقتصادي والأخلاقي، من خلال رواية نقطة النور لبهاء طاهر التي مزجت بين الإطار الصوفي والمراوغة السياسية.

تقوم الدراسة الأسلوبية على تتبع الظواهر الأسلوبية التي سيطرت على اختيارات الكاتب في العمل، والتي جاءت على النحو الآتي: العنوان ودلالات أسماء الشخصيات، وفنية الرؤى والأحلام ومستواهما الجمالي، وكذلك دور المفارقة في الكشف عن خبايا الشخصيات وآفات المجتمع، والإطار الصوفي والنقد التكويني، والبناء السردي والمراوغة السياسية، ثم فاعلية الاقتباس بين تقوية الحجة وضرب المثل، وأخيرا الصورة والانزياحات الأسلوبية، وتكثيف الاستفهام وتنوع طرائقه.

الكلمات المفتاحية : بهاء طاهر، الخطاب الروائي، الأسلوبية، نقطة النور.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Bahaa Taher's Narrative Discourse

"Nuqtat Al-noor (Point of Light): a case, "Stylistic study

Hamdallah Abdul Hakeem Mohammed Hamdallah

Associate Professor—rhetoric, literary criticism ,Qena Faculty of Arts -South Valley University- Arab Republic of Egypt

Email: Hamdallah.abdelhakeem@art.svu.edu.eg

Abstract

Art has a role in reading the reality, interacting with it, and give the audience some 'relief'. Therefore, the research was keen to read the narrative discourse of the sixties generation and the stream of consciousness that unambiguously revealed the concerns and problems of the nation after the October 1973 war. It is highlighted for victims of economic and moral open policy, through Bahaa Taher's novel Nuqtat Al-noor, which mixed a mystical framework and political evasion.

The study is based on tracking the stylistic phenomena that dominated the author's choices in the novel, as follows:

The title and the connotations of the characters' names. The artistry of dreams and their aesthetic level. As well as the role of paradox in revealing the mysteries of characters and the calamities of the society. The Sufi framework and formative criticism.

Narrative construction and political evasion. Then the effectiveness of quoting between strengthening the argument and setting an example. Finally, the image and stylistic shifts, and the intensification of the question and the diversity of its methods.

Key words: Bahaa Taher, Narrative Discourse, Stylistic, Nuqtat Al-noor (Point of Light)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا الخطاب الروائي مخزون ثقافي واجتماعي وسياسي وأسلوبي لكاتب هذا العمل؛ فقد منع بهاء طاهر[١] من الكتابة في الفترة من ١٩٧٥م حتى ١٩٨٣م؛ أي ما يقرب من ثماني سنوات، تخللها فترة انتقال الكاتب خارج مصر من عام ١٩٨١م حتى ١٩٩٥م، وبها اعتنى الكاتب عناية خاصة بالسرد والتأريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المصري بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وكانت رؤية الكاتب أن يعرض جانبا من جوانب النفس البشرية، عاقدا مقارنة بين الجسد والنفس والروح، وكاشفا عن الصراع في طبيعة الإنسان الذي تتنازعه كل هذه الأمور للسيطرة عليه وقيادته إلى فطرتها؛ فقرب بهذا العمل تقريبا واضحا لظمأ الروح؛ هذه الروح القادرة وحدها على نجاته، كما أروت ظمأ الكاتب المتعطش للكتابة عن تلك الفترة وفتحت له باب التعبير عما يختلج في صدره من مساوئ كان

(١) ولد بهاء طاهر في محافظة الجيزة ١٣ /١٩٣٥/١م، والده من محافظة الأقصر بصعيد مصر، تخرج في جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ثم عمل مترجمًا في الهيئة العامة للاستعلامات بين عامي١٩٥٦و١٩٥٧، عمل مخرجًا للدراما ومذيعًا في الإذاعة المصرية حتى عام 1975 م، حيث منع من الكتابة، ثم ترك مصر وسافر إلى عدة دول إفريقية وأسيوية وأوربية، وعاش في جنيف بين عامي 1981 و١٩٩٥م حيث عمل مترجما في الأمم المتحدة، ثم عاد بعدها إلى مصر، من مجموعاته القصصية؛ الخطوبة، وأنا الملك جئت، وذهبت إلى شلال، ومن أعماله المترجمة ساحر الصحراء – ترجمة لرواية الخيميائي لباولو كويلو، ومن رواياته؛ رواية خالتي صفية والدير، ورواية واحة الغروب وتم تحويلهما إلى مسلسلين أذاعما التليفزيون المصري، وروايات أخرى؛ كشرق النخيل، الحب في المنفى، ونقطة النور(محل الدراسة)، نال العديد من الجوائز منها؛ جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٨٨م، وجوائز أخرى.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من واجبه الوطني أن يسجل من خلالها هموم مجتمعه في تلك الفترة، ومعاناتة مع الانفتاح الذي أدى إلى صعود طبقات وموت أخرى، والكاتب عاد عام ٢٠٠٠م ليكتب هذا العمل إشارة إلى أنه وإن كان منع من الكتابة في حينها لأسباب سياسية؛ فضمير الكاتب ومخزونه الثقافي يظل ينبض بالأفكار التي أراد أن يعبر عنها وظلت حبيسة الفكر والقلب وربما الأدراج.

وقد اتسمت هذه الرواية بعبق جيل الستينات الذي تميز بسمات جمعت بين الأصالة والمعاصرة في الأسلوب وطريقة السرد؛ وهي استلهام بعض تقاليد القص و الحكي العربي القديم، و تقديمها في صور جديدة من أجل منح فنون القص العربية طابعاً قومياً وخصوصية، وتميزاً بعد أن سيطر الشكل الأوروبي الوافد علي نتاج الأجيال الروائية السابقة، وكذلك الميل الشديد إلي تصوير الواقع المحلّي في القري والأحياء الشعبية من المدن، واختيار نماذج إنسانية مسحوقة أومقموعة، أو تعيش علي هامش المجتمع، وأيضا تفوق الوعي الأيديولوجي علي الوعي الجمالي؛ فمعظم الجيل المعاصرين من كتاب الرواية العربية تربى وتعلم في عصر الاستعمار، وشهد بداية الثورات والانقلابات، وغياب الديموقراطية والهزائم المتلاحقة عسكرياً وقومياً وفكرياً، بالإضافة إلى تمزق صفوف المجتمع، والانفتاح الاقتصادي(١).

وقد جمع هذا العمل سمات هذه الفترة التي كانت فارقة في تاريخ الأمة المصرية؛ واختار الكاتب هذا العنوان –نقطة النور–؛ لأنه رأى فيها تقريبا

(١) انظر/ الرواية السياسية، د. طه وادي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٨٢–٨٤.

للواقع في هذه الفترة من تاريخ البلاد، وعرضا للمثالب، وطريق البداية لحل مشكلات البلاد المستقبلية.

وقد جاءت أدوات قراءة الخطاب الروائي للكاتب على النحو التالي:

أولا: العنوان ودلالات أسماء الشخصيات، ثانيا: فنية الرؤى والأحلام ومستواهما الجمالي، ثالثا: دور المفارقة في الكشف عن خبايا الشخصيات وآفات المجتمع، رابعا: الإطار الصوفي للعمل والنقد التكويني، خامسا: البناء السردي والمراوغة السياسية، سادسا: فاعلية الاقتباس بين تقوية الحجة وضرب المثل، سابعا: الصورة والانزياحات الأسلوبية، وثامنا: تكثيف الاستفهام وتنوع طرائقه.

أولا: العنوان ودلالات أسماء الشخصيات

حمل العنوان في طياته أبعادا وإيحاءات ودلائل على وجود الظلام؛ من خلال تقليل الضوء حيث ثمت نقطة هي البارزة، فقد اتسم العنوان في أصله تكوينه التركيبي بالغموض؛ فهل قصد به جملة حذف منها المبتدأ أم الخبر، هل أراد هي نقطة النور أم أراد نقطة النور هي العلامة، وفي طمس العنوان مع ترك بعض أجزائه واضحا أمر يدعو القارئ إلى الحيرة من أول العمل مع الاستئناس أحيانا بما ذكره الكاتب من بقايا العنوان تارة، والبحث عن الجزء المفقود تارة أخرى، ثم إنه هل قصد نور اليقين والإيمان ممثلا في التصوف كما يظهر من إطار العمل، أم نور البحث عن الحب الحقيقي، أم النور الكاشف لمساوئ المجتمع في تلك الفترة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وهذا العنوان بدلالاته المتعددة ينسجم مع استخدم الكاتب أسماء شخصيات لها دلالات عميقة الإيحاء وليست

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عشوائية أو اعتباطية بل مقصودة، وتنوعت صور شخصياته بين الشخصية الثابتة والنامية والنموذجية والمضطربة؛ كما جعل للأسماء قيمة إلى جوار الوصف الخارجي للشخصية، ورغم أن الرواية نشرت عام ٢٠٠٢م أول مرة إلا أن أسماء شخصياتها وألقابهم كانت موافقة لحقبة السبعينيات وما قبلها، وتنوعت هذه الأسماء؛ فمنها السياسي والصوفي والتراثي والاجتماعي والأدبي والأجنبي، وتحمل كلها دلالات سياقية وتعبيرية وذهنية وأيديولوجية.

والأسماء تحمل دلالات التوافق مع أفعال الشخصية أو التناقض معها، واختار الكاتب أسماء الشخصيات حسب البيئة والثقافة؛ وبخاصة وجود بيئتين في العمل البيئة الشعبية في مقابل البيئة الأرستقراطية، "ودراسة سيمياء الأسماء، تبين الدلالة الرامزة لها، إذ تتعدد بتعددها... والأسماء تمد الكاتب بوسيلة صريحة تساعده على إدخال القارئ بسرعة إلى عالمه"(١)، ويبين اختيارها غرض الكاتب من النص، وتتكامل دلالة الأسماء مع صفات الشخصية ومع الأحداث والمكان والزمان لتوصيل رسالة القاص، كما تسهم في تيسير تذكر أحداث الشخصية كلما توارت أو حضرت، ومع ختام العمل تكتمل صورة كل شخصية ودورها في الأحداث وما تريد أن تقدمه للمتلقي.

حمّل الكاتب كل مجتمع بما يلائمه من أسماء اجتماعية؛ فميز مجتمع السيدة زينب بالمهن والحرف؛ نظرا لوجود الطبقة الكادحة في هذه المجتمعات الشعبية؛ فحميد الكهربائي، وإبراهيم المنجد، ومرعي العطار، وكذلك الباشكاتب توفيق هذا اللقب الذي ظل ملازما له حتى بعد تركه العمل

(١) النص الكلي، د. يوسف حسن نوفل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٠٨-٣٠٩.

وانتهاء هذا العصر، وله دلالة ربط عصر الملكية بالعصر الحديث الذي توارى فيه الاهتمام بالكتابة والثقافة وتحول المجتمع إلى الكسب السريع دون عمل مع رفع شعارات زيادة الإنتاج التي آمن بهاء بعض شخصيات العمل، لكنها صارت سرابا.

وعلى الجانب الآخر من مجتمع جاردن سيتي مجتمع الطبقة الأرستقراطية؛ اختار الكاتب شوكت ونازلي هانم ولهذه الأسماء أصول تركية، وهي أسماء اجتماعية تعبر عن التقارب المصري التركي نظرا لهيمنة الدولة العثمانية على ثقافة هذه الطبقة في بداية القرن العشرين.

السيمياء بين أقسام العمل ودلالات الأسماء

بدا اهتمام الكاتب بأسماء الشخصيات حين أطلق أسماء أبطالها على أقسام العمل الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام: سالم، لبنى، وفي القسم الأخير غلبت مهنة الباشكاتب على اسم صاحبها؛ كالآتي:

أولا: **سالم:** افتتحت الرواية سطورها الأولى به وختمت أحداثها به، وقد اختبر سالم بكثير من الاختبارات التي نجا منها كما بينت الرواية، فتربيته المغلقة ونهر والده له كلما رآه يلعب مع أبناء الجيران، كل هذا جعل من سالم شخصية منطوية صامتة طوال الوقت مليئة بالصراعات الداخلية، وقد آل به صمته وصراعه إلى مرض نفسي، وقد جاهد سالم في الهروب من الخطأ مع البنات والنساء باستثناء علاقته بلبنى التي ندم عليها ندما شديدا رغم صدقه في حبها، مما أعاد إليه مرضه النفسي والهلاوس التي كان قد برأ منها لعدم تحمله لهذه المعصية، فقد كانت أكبر من أن يتحملها، وعاد بعد شفائه ليهتم بجده وأخته حتى لقي لبنى في النهاية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد تخير الكاتب الاسم الواصف لسمياء هذه الشخصية للدلالة على أنه سلم من أهم عيوب مجتمعه في تلك الفترة، فلم يتغير بل بقي على ثباته وعطائه، فلم يبخل بعطائه على جده بل كان أشد حرصا عليه من ابنه شعبان وظل معه حتى النهاية، واختص أخته بجزء من راتبه لتستعين به على ضيق العيش، حيث كان يعمل محاسبا في إحدى مطاعم الانفتاح، وهذه سمة اندثرت في مجتمع الانفتاح الذي سيطرت المادية على أبنائه، بالإضافة إلى سلامة البناء الجسمي للشخصية، فكما وصفته الرواية كان جميلا كالبنات.

ثانيا: **لبنى**: اختار الكاتب هذا الاسم للبنى من شخصيات التراث الي عرفت قصتها واشتهرت بالحب، ولبنى شخصية الرواية الباحثة عن الحب كانت كذلك، استطاع الكاتب من خلال توظيف الاسم التراثي أن يوجز في عرضه فنقل الصورة الذهنية عن لبنى في التراث ذلك المخزون الثقافي لدى المتلقي؛ لتساعده هذه الصورة مع الأحداث التي تشارك فيها شخصية العمل وهي متشابهه، وبخاصة في الحب، ولكن لبنى لم تجد الحب مع أسرتها المفككة؛ فقد كان الكره والتراشق بالأخطاء سمة والديها، كما ابتليت بمدرس الدروس في المرحلة الثانوية الذي اغتصبها، ولما لقيت سالما في الجامعة فرحت لذلك، لكن ظلام الماضي البغيض كان يطاردها، وليكتمل المشهد ظلاما تخسر سالما بعد لقائهما المشئوم، فلم تعد تفرق بين سالم وحمام المدرس، ولم تجد الحب الحقيقي في حياتها إلا مع مربيتها ومربية والدتها دادة سنية، وقد اختصها الكاتب بالقسم الثاني لدورها في الأحداث، ودورها في الربط بين الطبقتين الشعبية التي ينتمي إليها حبيبها سالم والأرستقراطية التي تنتمي إليها.

كانت لبنى تبحث عن الحب الحقيقى الذي يخلص المرء من كل مخاوف العالم، ويسير بها إلى عالم جديد لا يلتفت إلى الماضي، حتى وجدته في نهاية الرواية عند زيارة سالم، لتجد الباشكاتب مريضا، وتسأل عما ينقذ الأرواح، فقيل لها الحب.

ثالثا: **توفيق الباشكاتب:** شارك الباشكاتب – توفيق- حفيده سالم في أحداث الرواية منذ البدء حتى الختام، وغلب الاسم الاجتماعي ومهنته على الاسم لما حظي به الرجل من تقدير في محيط عمله وإقامته، ورغم اندثار هذه المهنة إلا أنه ظل محافظا عليها لما فيها من وقار الشخصية واتزانها في محيط إقامته، وما تحمله هذه المهنة من قيمة اجتماعية في السابق، وقد كان الرجل يميل إلى خدمة الناس دون مقابل؛ ففي عمله كان يرد النقود التي يضعها الناس في الأوراق المقدمة إليه بأدب جم، وفي مكان إقامته يحنو على الصغير والكبير ويعطف على جيرانه، بل إنه قام بترميم البيت على حسابه مع أن السائد في تلك الفترة هو إزالة البيوت القديمة للتخلص من الإيجار القديم وإقامة المباني الحديثة العالية التي تدر أموالا ضخمة على أصحابها، وقد صاحبه في رحلة عمله صديقه أبو خطوة الذي رأى فيه الصفاء والنقاء المطلوب للوصول إلى النور؛ ليجاهد الرجل نفسه في نهاية حياته ويصل إلى مراده؛ ولم يبرز اسم توفيق إلا في حوارات صديقه أبي خطوة الذي رأى فيه التوفيق والصلاح.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سيمياء الشخصيات الثانوية ودلالات أسمائها

١- **أبو خطوة:** شحصية محورية غلب لقبه الصوفي على اسمه السيد السنانيري وعلى لقبه الوظيفي الباشمحضر، ويتبادر عند ذكر السيد إلى الذهن اسم السيد البدوي الصوفي، وفي الرواية يصحب الباشكاتب البطل، وتقدم الرواية عددا من الكرامات لهذا الرجل منها أنه تنبأ للباشكاتب بالوصول، وغيرها من المواقف التي تثبت بعد خطوته وتربيته لمريده الباشكاتب، وسبب تسميته بهذا الاسم ما ذكره الباشكاتب وهو يقص على سالم كرامات صديقه "سمع عن الكثير من كرامات هذا الرجل المبارك، بل وشاهد بعضها، لكنه لم يشهد بالطبع الكرامة الرئيسية التي أعطته لقبه: أي أن السنانيري قد شوهد في وقت واحد في ذات يوم وهو يؤدي صلاة العصر في مسجد سيدنا الحسين في القاهرة، ويمشي متمهلا في سوق أسيوط يصافح أصدقاء ويتحدث إلى غيرهم... وجزموا بأن ذلك كان في الساعة الرابعة"(١)، وعلق الباشكاتب على هذه الرواية بعد تساؤل حفيده كيف يكون ذلك بأن يصبح شخصين في وقت واحد، المقصود أنه قطع الطريق من القاهرة إلى أسيوط بخطوة واحدة.

وقد وظف الكاتب شخصية الرجل التي أثرت على بطل الرواية، فبعد تخبط في ظلمات الجهل انتقل تلميذه الباشكاتب إلى إدراك النور، وقد وزع الكاتب ظهور أبي خطوة وحواراته مع الباشكاتب على مواضع كثيرة من الرواية من خلال تقنية الاسترجاع، ومن خلال هذه الشخصية استطاع الكاتب أن يسير في خطين متوازيين؛ خط التصوف وإدراك النور وسبل الوصول، والخط الآخر في نقد واقع المجتمع المترنح البائس جراء الانفتاح.

---

(١) نقطة النور، ص ١٣.

٢- **أسرة لبنى:** والدها الدكتور شوكت ووالدتها الدكتوره صفاء، وهما طبيبان؛ أحدهما: شوكت من الطبقة الكادحة لكنه تنكر لأصله، وشارك في المظاهرات ضد الرئيس جمال عبد الناصر، ولكنه تنكر لمواقفه بعد أن رأي أن المبادئ أضرت به، فسار في ركاب الثروة والمال ولم يكترث لمبادئه بل سخر منها في غير موضع، وكذلك صفاء التي لم تكن أكثر مبادئا منه؛ فهي ابنة الطبقة الإقطاعية ولم يجمعهما سوى الكره لعبد الناصر، ولما أرادت أن تتخلص منه اتفقت مع صديقه صدقي لتظهر بمظهر الخيانة ليطلقها، وتركت له البنت لبنى دون حرص منها على رعايتها مضحية بأسمى معاني الأمومة، بل كان أهم شيء لديها هو مظهرها وجمالها وليس شيئا آخر.

وشوكت "اسم علم مذكر عربي بلفظ تركي؛ لأن أصله "شَوكة"، ففتحوا التاء المربوطة وسكَّنوها وصوابه بالمربوطة، واستخدموا اللفظ كذلك لقباً رفيعاً بعد إضافة النسبة التركية، فقالوا: شوكتلي، أي ذو المقام الرفيع والمهابة"(١)، ولم يكن شوكت سوى شوكة في ظهر المجتمع ونموذج من آلاف النماذج الجشعة في هذا البلد، وصفاء التي يحمل اسمها معانى الصفاء والنقاء لم يكن لها منه نصيب، والشخصيتان لا تحملان من اسميهما شيئا وتتناقض أفعالهما مع الاسم، ويؤذن ذلك بالتناقض النفسي الذي بدا على صفحات الرواية، فقد تنكرا لاسميهما قبل أن يتنكرا للقيم والفضيلة، فلم يقدما شيئا لمجتمع أو أسرة بل كانت الأنانية شعارهما.

---

(١) قاموس المعاني، معاني الأسماء (شوكت) على شبكة الانترنت، موقع
https://www.almaany.com/ar/name/%D%٨B%٤D%٨٨%٩D%٨٣%٩D%٨AA/

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣- **فوزية وفراج:** فوزية حفيدة الباشكاتب وأخت سالم وفراج زوجها، ولم يكونا أسعد حظا باسميهما، فقد توقفت فوزية عن الدراسة لجمالها ومغازلة الشباب لها، ووقعت في حب فراج الذي قادها إلى الخطأ معه، ولما تقدم لها قبلت العائلة على مضض، وفراج كان يؤمن بمبادئ الاشتراكية وزيادة الإنتاج ولكن كل هذا لم يكن صحيحا على حد قول فوزية لسالم: " قالت إنها تعتقد أن من أسباب عبطه أنه عندما كان طالبا في الجامعة أدخلوه معهد اسمه المعهد الاشتراكي، وهناك علموه أن كل الأمور(تمام) وهو مازال يصدق هذا الكلام، تصور! يقضي في عمله ساعات أكثر من زملائه لكي (يزيد الإنتاج) ولكن سواء زاد إنتاج المصنع أو قل فسيظل مرتبه كما هو لا يزيد ولا ينقص أليس كذلك يا سالم.."[(١)]، ودلت سيمياء اسميهما على نقيض ظاهر الاسم، فقد أحاطت بهما المشكلات، التي كادت أن تعصف بهذه الأسرة لولا مساعدة جدها وأخيها، فلم تفز فوزية بشيء، ولم تنفرج أزمات فراج وأمله في المستقبل بعد الحرب.

٤- **سمية ونازلي وسعاد:** سمية زوجة الباشكاتب تجلى فيها كل معاني الوفاء والحب والحرص على زوجها؛ تقف إلى جواره في تربية ابنهما وتحمل عنه همومه، وقد آمن الباشكاتب بعد لقائه سمية بأن الحب أنقذه بالفعل، وعلى النقيض نازلي هانم التي تزوجها عرفيا قبل خروجه بشهر على المعاش حتى لا يرثها ولا ترثه حسب شرطها، واتفقا على أن يلتقيا في شقة في وسط البلد كل خميس، وحتى عند حديثهما كانت تتحدث في القضايا والأموال والضرائب لا الحب، ونازلي "اسم علم مؤنث فارسي تركي، مركب من "ناز: الدلال" الفارسية، و"لي: علامة النسبة" التركية.

(١) نقطة النور، ص ٤٩.

والمعنى: ذات الدلال، الدلوعة، المدللة، وقد تكون مرقَّقة من نظله، ونازلي بنت مصطفى فاضل (ت١٩١٤م) أميرة مصرية مصلحة"[١]، أبان الاسم ميل هذه الطبقة إلى تقليد مجتمع الأسرة العلوية في مظاهر الحياة وفي اختيار أسماء أبنائهم.

أما سعاد زوجة شعبان ابن الباشكاتب فلم يكن لها من اسمها نصيب ماتت في شبابها نتيجة خطأ زوجها الذي تركها تنزف ساعات حتى الموت لجهله بأمور النساء أو كما وصفه الباشكاتب لعبطه.

٥-**شعبان ابن الباشكاتب**: دلت سيمياء الاسم على شهر من الأشهر الحرم المعروفة لدى الناس بالخيرات، وقد كان شعبان يمثل نوعا من البشر الذين يهتمون بعملهم وصلاتهم مع تقصيرهم في العلاقات الإنسانية والاجتماعية حتى مع أولاده لا يعرف عنهم شيئا يتركهم في معية جدهم الذي يتولى تربيتهم والعناية بهم وبخاصة ابنه سالم.

يختار الكاتب أسماء شخصياته محملا إياها سمات المجتمع وطبيعة الأحداث؛ لتكون ركنا مهما في تلاحم أجزاء العمل الروائي، ويراعي الكاتب أسماء الطبقات الفقيرة والطبقات الأرستقراطية في هذا الاختيار وهو ما بدا في اختيار أسماء شخوص هذه الرواية، كما ربط بين عنوان النص وهذه الأسماء، فاختياره لتوفيق وسالم ولبنى؛ كمعادل موضوعي للجسد والنفس والروح؛ يقول بهاء طاهر: "أنا أحب أن أقول إن هناك ثلاثة جوانب مهمة في النفس البشرية: الجسد والنفس والروح... وأنا أعتقد أن أقسام الرواية

(١) قاموس المعاني، معاني الأسماء (نازلي)
https://www.almaany.com/ar/name/%D%٨٦%٩D%٨A%٧D%٨B%٢D%٩٢%٩D%٨٤%٩D٨%٩A/

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تصور الجوانب الثلاثة في الوجود البشري: الجسدي والنفسي والروحي"[١]، وهذا التقسيم الذي عناه الكاتب يفهم بعد الغوص في أعماق العمل وفك شفرات النص وتداخلاته، وقد ارتبطت هذه الأسماء مرة بالبحث عن النور- العلامة- مع توفيق، والسلامة من المعصية والزلل مع سالم، والبحث عن الحب مع لبنى.

ثانيا:فنية الرؤى والأحلام ومستواهما الجمالي

تبرز قيمة الرؤى والأحلام في العمل الروائي بالتحول إلى اللاوعي عند اختلال المعايير الاجتماعية، وانحطاط القيم، وزيادة القمع سواء الأسري أو المجتمعي الناتج عن التدهور السياسي، ولهما قيمة فنية جمالية؛ كسعة الخيال والقدرة على الجذب والتشويق، وبيان تناقضات الأحوال التي يلقى الضوء عليها، وللكاتب رؤية في حاجة عمله إلى الاعتماد على هذه الآلية أم لا، ورغبته في إبراز ظاهرة من الظواهر لا تظهر إلا بها.

وقد تبين من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أهمية الرؤى والأحلام وقيمتهما التعبيرية؛ قال تعالى حكاية عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)(الصافات:١٠٢)، ويقول رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "الرؤيا الصالحةُ جزءٌ من سبعين جزء من النبوّة"[٢]، والحلم هو "لون من النشاط النفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها نومه"[٣]،

(١) حوار مع الكاتب بهاء طاهر عن رواية نقطة النور في لقاء مع أ. سمير جريس، القدس العربي، ع ٤٢١٧، ٢٠٠٢/١٢/٦م.
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥ م، ٣٤١/٥، رقم ٦٠٠٩.
(٣) تفسير الأحلام، سيجموند فرويد، تبسيط وتلخيص د. نظمي لوقا، دار الهلال، ط١، ١٩٦٢، ص١٣.

فما يصدر عن النائم من نشاط في نومه يعد حلما؛ وبخاصة إذا كان له دلالة ومعنى، وهو يعبر عن معاناة الشخصية وآلامها في كثير من الأحيان وأيضا عن آمالها وتطلعاتها إلى المستقبل، وهذا التكنيك في العمل الروائي يتصل اتصالا مباشرا بسير الأحداث، وتبرز أهميته عند توظيفه بدقة وتخير موقعه المناسب من السرد، وفيه تنفيس وبوح للشخصية الحالمة.

والأحلام تشي بعزم الكاتب على كشف اللثام عن عمق صراعات الشخصية أو طموحاتها؛ لتكتمل أركانها للمتلقي؛ وبخاصة إذا كان الحلم يعبر عن موقف الشخصية الحالمة بغيرها من شخصيات العمل؛ سواء حبا أو كرها.

وقد تقاسم سالم وجده الباشكاتب وأبو خطوة الرؤى والأحلام في الرواية، ونعرض لها لبيان دواخل هذه الشخصيات:

أحلام سالم

يتصل كل حلم بموضعه من الفصل الخاص به، وتعد أحداث الفصل تمهيدا لهذا الحلم؛ ففي الفصل الثالث من القسم الأول في بداية الرواية يظهر حلم سالم بعد تقدم فراج للزواج من أخته فوزية، وفي هذا الفصل يعرض الكاتب لرفض شعبان والدها وسالم أيضا لفراج المتقدم لزواجها، ولكن الباشكاتب الذي عرف من فوزية أن بينهما علاقة قرر أن يسرع في زواجهما، وحدث أن تبادل شعبان مع الباشكاتب التهم فيما وصل إليه أمر فوزية، واتهم شعبان أباه بإفساد حياته وحياة أبنائه، وسالم الذي أحب جده أكثر من أبيه لم يعجبه هذا الصراع وعلو الصوت؛ فجمع بين رفضه للمتقدم وما حدث بين أبيه وجده من تلاسن، وكان قد مر في الفصل الثاني إصابة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سالم بالهذيان؛ فذات ليلة "وقف سالم بعيدا عنهم بجوار حائط وكان يهتز لليمين واليسار بحركة بسيطة منتظمة ويداه خلف ظهره، وكأنه يلعب وحيدا ثم فجأة انطلق يقول بصوت مرتفع يا غجر!.. يالمامة! وكان يصوب نحو جده وأبيه وأخته نظرة ثابتة لا يطرف له فيها جفن..."(١) كل هذه الأحداث كانت تقدمة للحلم؛ ففي تلك الليلة رأى سالم أحلاما وكوابيس كثيرة، ذكر منها حلمه بأمه التي احتضنته وألقمته ثديها لترضعه "فقال أنا كبرت يا أمي ولكنه مع ذلك راح يرضع في نهم شديد قبل أن تنزع ثديها فجأة وتقول كيف؟ ألم تصبح رجلا يا سالم؟ قال ولكن يا أمي.. وهو يمد يده في يأس لثديها الذي يشر منه اللبن دون أن يبلغه فقالت انهض يا سالم واغسل فمك ثم قابلني عند الكوبري ومعك الريحان ولا تقل لأبيك. ظل يجري وراءها وهو يقول لكن يا أمي.. لكن يا أمي! فجاء شعبان ممسكا بعصا الباشكاتب التي أصبحت فجأة أطول من أبيه وراح يضرب سالم على بطنه وهو يقول أخرجه! أخرجه يا ولد! وهو يسأل وسط لذعات العصا ما الذي أخرجه؟ خذ كل شيء واتركني، غير أن العصا صارت خنجرا مشرعا في وجهه ولم يكن الشخص الذي يحمل الخنجر أباه فارتعب وراح يصرخ "(٢)

هذا الحلم الطويل يعرض للحرمان الذي تعانيه الشخصية، فجاء على صورة تعويض لهذا الحرمان، كما يشي الحلم بالمعاناة النفسية للشخصية؛ ففقد سالم لأمه أحدث شرخا كبيرا في نفسه، لم يعوضه وجود والده بل زاد الطين بلة؛ لأن والده كان كثير النهر والاضطهاد له منذ صغره، وكان ينهاه عن اللعب مع أقرانه؛ لأنهم ليسوا من مستواه، وقد عوض وجود الباشكاتب

(١) نقطة النور، ص ٢١.
(٢) السابق، ص ٣٣.

في حياة سالم فقده لأمه، إلا أنه مع ذلك ظل يفتقد حنانها، وهذا ما بدا من حلمه فرضاعه لأمه رغم كبره، وخوفه من أبيه يشير إلى فقده هذا الحنان وراح يعوضه بالرضاعة كما بدا من الحلم، ولكن والده كان يلاحقه بغضبه حتى في أحلامه، والعصا ثم الخنجر تعبير عن تنامي الجفوة بينهما، حتى أن سالما سأل جده ذات مرة بعد هذا الحلم "ما الذي فعله أبي لتموت أمي وأمه؟... أبي فعل شيئا يخفيه وتخفيه أنت، أبي لا يحبنا، كان يريد أن يضعني منذ زمن مع المجانين، وزوج فوزية لرجل فلاح في الحارة؛ لأنه يريد أن يتخلص منها، ويريد أن يعاقبنا لأننا نحبها ولا نحبه"(١)، وقد ألمح الكاتب إلى تفسير هذا الحلم بعده بعدة صفحات، لجذب القارئ وهو أسلوب احتذاه في عموم الرواية، أن يعرض جانبا من قضية ويترك التفسير لموضع آخر زيادة في حبك النص وتماسك أجزائه، ثم التفصيل والكشف عنه عند حاجة المقام إليه.

حلم آخر لسالم؛ فبعد وقوع الخطأ بين سالم ولبنى حزن سالم لسببين؛ الأول: حبه الحقيقي للبنى ورفضه حدوث هذا معها، والثاني: رفض نفسه للمعصية وكراهته لها، فكان يرى أن ما فعله خطيئة كبرى، وكان لهذين السببين أثر كبير في عودة المرض النفسي والهذيان إليه؛ لأن عقله لم يتحمل مرارة الجرح والمعصية مرة واحدة؛ ويقدم الكاتب للحلم بقوله: "أخلت الأسئلة التي تتدافع في رأسه مكانها لخواء كامل وكانت كلمة واحدة تتكرر في ذهنه سأخسرها... سأخسرها" ثم يردف عارضا لمعاناة الشخصية من خلال حلم مليء بالهموم والمشكلات والصراعات رغم محاولة النجاة من

(١) نقطة النور، ص ٤٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

همومه وأحزانه التي ترجمها الحلم إلى أشياء مخيفة أدخل فيها السحر والخوف من الساحرة؛ لأن السحر من البديهيات المخيفة في العقل العربي.

"جاءت صحراء واسعة بامتداد البصر وكان ظمآن وراح يتلفت حوله في ذعر وهو يبحث عن شيء ما يعرف أنه ضاع منه فجاءته غزالة تعدو وتلهث وقفت إلى جانبه وراحت تتمسح به وتكلمت بصوت يعرفه ولا يستطيع أن يحدده وقالت لو فككت سحري سأعطيك ما تبحث عنه. فقال أنا أخاف من الساحرة التي رمتني في الصحراء وأخذت البيت من جدي وسحرت فوزية. ثم أخذ يجري والغزالة تعدو خلفه وهو يريد أن يهرب منها ولكنه يقع على الأرض فتقف الغزالة فوقه ودموع تنزل من عينيها الواسعتين مثل مطر غزير ثم ترفع ساقها فيسيل من ظلفها ماء غمر وجهه ولكنه خاف أن يشرب من هذا الماء أو هذه الدموع فأغلق فمه وسده بيده ثم قام وأخذ يجري من جديد والغزالة وراءه وشب حريق في مكان ما وكانت ألسنة اللهب تقترب منه فأسرع في عدوه وصار في جبل في أعلاه خضرة ورأى الغزالة فرسا بيضاء لم يخف منها صعدت الجبل يمكن أن تفك السحر فقال ولكنني عطشان... وكانت شفته جافة ولسانه في فمه كقطعة من الخشب عندما صحا وهو يلهث، فقام وشرب، لكن أشباحه لم تفارقه طول الليل."(١)

بين الحلم الذي اقترب من الصفحة حالة سالم النفسية ومعاناته مع تراكم المشكلات التي كادت أن تحدق به؛ فالصحراء كناية عن المتاهة التي يعيشها، والغزالة في حلمه لها اتصال بالمنظر الذي رآه في مدخل عمارة

(١) نقطة النور ، ص ١٤٣، ١٤٤.

لبنى قبل حدوث الواقعة، وتشير الغزالة إلى لبنى، وفك أسر الغزالة هي هموم لبنى التي يعرفها، والحريق زيادة في تأزم حالته وتشعب مشكلاته وتنوعها، وفي نهاية الحلم فرج بانكشاف الغمة، فاللون الأبيض يوحي بالاطمئنان والسلامة، فالخيل معقود في نواصيها الخير، وصعود الجبل كناية عن تحمل الصعاب في سبيل النجاة وإدراك النور، والحلم "يمتلك قوة قادرة على إزاحة هموم الواقع الرديء الذي عاشته الشخصية الفنية قبل النوم، وهذا الواقع يشكل ضغطا على كاهل الشخصية، وفي داخلها، ولذا تجب إزاحته"(١)، ولأن الشخص العاجز عن تغيير هذا الواقع في الوعي يلجأ إلى اللاوعي لتخفيف هذا الضغط.

وفي آخر الرواية يسأل الباشكاتب حفيده سالما إن كان يفكر في لبنى، وكان سالم قد فقد الأمل في الوصول إليها، ووجه طاقته نحو عمله في المطعم الذي عمل فيه كمحاسب، فأصابه الذهول لسؤال جده غير المتوقع، وسأل جده إن كان يعرف شيئا، وقال إنها كانت معه وكان جده أيضا، وذكر أنه نام بالليل فجاءته قرب الصباح، وهذه أول مرة يحلم بها بعد أن افترقا؛ وقال لجده لابد أنك تعرف شيئا ما دمت تسأل، فأجاب الجد:"أنا لا أعرف. لكن أحلامنا تقول لنا الحقيقة أكثر من صحونا، فماذا قالت لك... لم تقل شيئا كنا أنا وهي في زورق على النيل وهناك غناء لا أعرف من أين يأتي. هل كان ملاحا في زورق أو هل كان الغناء أصوات طيور في السماء ولكنا كنا سعيدين ثم جاء ظلام وأخذ الزورق يهتز بنا ومدت لبنى يدها نحوي ومددت لها يدي فانقض فوقنا طائر أبيض ضخم له مخالب كبيرة ووقفنا خائفين كأن

(١) تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ، د. حسن البنداري، مكتبة بورصة الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص١٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أحدنا سيمسك الآخر ولكنا دخلنا بعد ذلك في ممر طويل مظلم كأنه سجن وكنا نجري معا، ونعرف أن شخصا يطاردنا ونريد أن نصل إلى آخر هذا الممر لأن هناك نورا في نهايته. صحوت بعدها وكان وجهك أنت آخر شيء في الحلم وأول مرة تسألني عنها من زمن... -فقال الجد- لكني أعرف أيضا أنك تستحق النور الذي رأيته في حلمك، المهم ألا تخطئ النور حين يجيء"(١).

بدا من حلم سالم أنه لا يزال يبحث عن حبه الحقيقي في لبنى، وأنه سيدرك النور لا محالة، وقد التقيا في آخر الرواية واقتربا مرة أخرى، ويشير الطائر الضخم ذو المخالب إلى الصعاب والاختبارات الكبيرة التي عاشتها الشخصية، كما يبين الحلم ظهور العلامة لجده الباحث عن نقطة النور، فاتجاه سالم هربا إلى نقطة النور في آخر النفق وفي آخره يرى وجه جده يؤذن بتحقق وعد الجد، ويبرز الحلم هنا اقتراب حل مشكلات سالم التي عانى منها طوال فترة حياته، وزفّ الكاتب البشرى عبر هذا الحلم؛ فبالرغم من أن الرواية مفتوحة النهاية إلا أن الحلم أسهم في معرفة نهايتها؛ مما أتاح للقارئ نوعا من الارتياح النفسي الذي كان يرغب فيه؛ لأن متابعة أحداث القصة وشخوصها وأحوال الأبطال واجتهادهم في الوصول كل حسب طريقته، وصدقهم في غرضهم الذي يحمل في طياته الخير؛ لذا كان من الواجب ليحسن الكاتب الختام أن يضيء الطريق للمتلقي، ويجعل له نقطة نور يبني عليها فهمه لأزمات الشخصيات واستشرافهم المستقبل ورغبة الشخصيات في دفع هذا الواقع المؤلم إلى واقع أفضل، فكان الحلم معبرا عن هذا.

---

(١) نقطة النور، ص٢٢٢.

أحلام الباشكاتب

جاء حلم الباشكاتب في خضم حديثه النفسي عبر مونولـــوج داخلـــي باسترجاع سابق عن علاقة الباشكاتب بصديقه أبي خطوة، فقد قطع المسافة من القاهرة إلى أسيوط للقائه بعد سنوات من خروجهما على المعاش، وكان زملاء أبي خطوة قد تعللوا بأعذار للإبقاء عليه معهم في مكتبه لتحل البركة، ودار بينهما حديث كان هدف الباشكاتب أن ينتزع من صديقه دعوة لولـــده شعبان إلا أن أبا خطوة ظل يسأل عن حفيده سالم وأعطاه حجابا له، وفـــي هذا اللقاء تحدث أبو خطوة عن صلاح الباشكاتب وكانـــت هـــذه أول مـــرة يمدحه؛ فقال الباشكاتب "أنت تقول لي ذلك وأنت أدرى الناس بحياتي؟ فرد: ولأني أدرى فأنا أتكلم، الأرواح وحدها هي التي تتلوث وأنت روحك أصـــفى من البلور...ثم قال: لا ييأس من الوقت إلا من يجهـــل أن الرحمـــة تســـبق الوقت ولا يسبقها الوقت، وأنت كابدت وستكابد أكثر فادع الله لي يـــا أخـــي توفيق"[١]، ثم رفع يد الباشكاتب فقبلها، وطلب منه الدعاء.

ثم أعقب هذا الحديث رؤيا الباشكاتب؛ يقول: "أتتني في المنـــام ســـمية ورأيت وجهها يشبه وجه أبو خطوة أو ربما كان أبو خطوة يقف إلى جانبها وسط زحام كثير فاستيقظت من النوم وأنا أنشـــج وأرتجـــف، ثـــم أســـبغت الوضوء وصليت وأنا أطلب المغفرة وأدعو لأبو خطوة طويلا وكثيـــرا كـــأن تنفيذ وصيته تلك سيفتح لي باب النجاة"[٢] تقدم فـــي هـــذا الفصـــل حـــديث الباشكاتب عن إخلاصه لسمية زوجه عشرات السنين، وتكريس حياته لولده وأحفاده، فجاءت هذه الرؤيا تتمة لما تقدم، وجمعت الرؤيا أحبابه ويبشر هذا

(١) نقطة النور، ص ٥٨.
(٢) السابق، ص ٥٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بوضوح الطريق، والحلم على قصره يحمل أبعادا دلالية عميقة، أضاف فيها الكاتب إلى البناء الدرامي للفصل وأجاد في بيان تلاحمه، وعبر عن استواء وعي الشخصية واللاوعي عندها، وفيه إشارة إلى بداية مسيرته في طريق النور المنشود، فقد بدت له سمية وصديقه أبو خطوة من بين كل الشخصيات التي مرت به ومن بين مشكلات حياته وزحامها.

وتسهم رؤياه لصديقه أبي خطوة في تأكيد هذا الغرض من هذا الحلم؛ يقول: "لكن أبا خطوة أتى مبكرا. احتضنني بوجه باش وهو يقول: رأيت لك الليلة رؤيا وبشرى، فقلت: وأنا أيضا رأيتك في المنام، ثم سأله بلهفة: ما هي البشرى؟، فهز رأسه دون أن تفارق الابتسامة شفتيه وقال: لسنا مأذونين بالبوح ولكن هي خير"(١)، وفي نهاية اللقاء أعطاه حجابا لحفيده سالم، فسأله الباشكاتب عن الدعاء لابنه؛ فقال إنه سيكون بخير وحثه على الدعاء له، مذكرا إياه بالاجتهاد والصبر وعدم اليأس.

تطورت حال الباشكاتب بعد إصراره على السير بحثا عن النور، تفاعل بدعوة صديقه أبي خطوة ووصفه له في غير موضع بالصلاح، وما كان يخصه به من كتب عن سير الصالحين، والمحادثات والحوارات التي دارت بينهما عن كيفية الوصول وكشف اللثام عن الظلام ليرى النور الحقيقي، وبالإصرار على مجاهدة النفس والامتناع عن الطعام إلا القليل الذي يبقيه حيا مع التوجه إلى الله بالدعاء الدائم ظهر النور في أحلامه؛ فبدأ برؤيا محل شعبان الذي كان راكدا رأى في حلمه زحاما شديدا حول المحل، وربما كان أبو خطوة حين ذهب إليه الباشكاتب ليدعو لشعبان وتجارته وإصرار أبي

(١) نقطة النور ، ص ٥٩.

خطوة على الدعاء لسالم فراسة منه أنه الضعيف الذي يحتاج إلى هذا أو أنه الوحيد الذي يشبه جده في صفاء قلبه وعدم تعلقه بجشع الحياة في تلك الفترة؛ هذا الجشع الذي سيطر على كل مظاهر الحياة وعلى كل طبقات المجتمع المصري بالإضافة إلى رغبة الجميع في الثراء السريع دون أدنى حساب لآلام الآخرين ومعاناتهم، أما شعبان فقد تركه لوالده كدلالة وعلامة على القبول "يقول لشعبان: رأيت محلك في المنام، رأيت زحاما كثيرا ورأيتك مشغولا جدا في تلبية طلبات زبائنك"(١)، فرد شعبان بأن الحال واقف، ولولا محل السجائر الذي أجره لأحد الباعة بالإيجار الجديد لأفلسوا، ولكن شعبان عاد آخر الليل مهتلا بأنه قد جاءه طلبان كبيران لأقمشة أزياء المدارس، وقال لوالده بأن أحلامه أحلام الصالحين.

وبالتوازي مع الحلم بشّر الباشكاتب فوزية بعودة زوجها فراج الذي غاب شهورا عنها، وبالفعل حضر فراج آخر الأسبوع، كما تنبأ بعدم هجر فراج لأسرته مرة أخرى، وقد كان كثير الهجر لهم لضيق الحال، ولما رجاه شعبان ألا تتكرر هذه الحكاية لأجل ابنه، فرد الباشكاتب مطمئنا شعبان بأن هذا لن يتكرر.

ومع اقتراب النهاية ركز القاص على الإطار الصوفي لأحلام الباشكاتب التي أصبحت علامة على ثبوت قدمه في الطريق؛ يقول: "وتكاثرت أحلام الباشكاتب وسط نومه المتقطع واختلطت بأحلام يقظة كان يخاطب أحباءه بصوت مسموع. وفي فترات صحوه كان يحاول أن يفهم مغزى تلك الرؤى واثقا من أن الأحلام رسائل، ألم تكن هذه الأحلام هي التي ضاعفت أمله بعد

(١) نقطة النور ، ص ١٨٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أن تحققت رؤياه لولده وحفيده"[١]، بدا أن رؤى سمية وأبي خطوة كانت دلالة على تعلق الباشكاتب بهاتين الشخصيتين اللتين كانتا نبراسا له في دنياه ودينه، فسمية كانت منارة له وعونا على الدنيا، وصديقه الصوفي كان منارة له لإصلاح دينه وتوجيهه إلى جادة الصواب.

وتكاثرت عليه الأحلام زارته زوجه سمية وزاره صديقه أبو خطوة عدة مرات، وقد "اعتادت سمية أن تأتيه مبتسمة كما لو كانت في صحراء أو في خلاء واسع ثم تستدير مشيرة بيدها إلى ذلك الفضاء الذي لا يرى نهايته ولا أفقه فتظهر فيه وجوه كأنه يعرفها وإن لم يستطع أن يميز أصحابها"[٢] فسر الباشكاتب حلمه بأن هذا الفضاء يرمز إلى الأجل وإلى اقتراب النهاية، ويمثل هذا الحلم تحرر الرجل من قيود الجسد ليطلق العنان لروحه، وينطلق في ذلك كله من اللاوعي الكامن داخله بقرب العلامة وقرب الوصول، وهذه الوجوه تمثل الصالحين الذين قرأ سيرهم، فقد تحرر الباشكاتب الدائم البحث عن هذه النقطة من أصفاد جسده المطبق على الشهوات، بما لديه من علامات وقناعات ودوافع وأهداف تدفعه إلى النقطة المنشودة، أما صديقه فكان يتحدث معه كثيرا في حلمه، فقد جاءه ذات مرة مؤنبا وكرر عبارة سمعها منه قبل ذلك" ليس بعقلك ولا حتى بقلبك ولا بنفسك، وإنما عندما تنسى ذلك كله يا توفيق. حين تريد ألا تريد فترى نفسك وترى النور في قلب الظلام. سأل الباشكاتب صاحبه في لهفة: إذن فما هي العلامة؟ فكرر عليه: أن ترى النور في قلب الظلام، قال الباشكاتب وكيف أراه في قلب الظلام؟

(١) نقطة النور ، ص ٢١٠.
(٢) السابق، ص ٢١٠

فرد صاحبه: سيبدد ضوءه ظلمة الليل والنهار. سأله: وفي النهار ظلمة؟ فرد أشد حلكة من الليل"[١].

هذا الحلم الذي أورده القاص مع اقتراب نهاية الرواية لخص فيه كل ما يريد أبو خطوة أن يقوله وما يريد الباشكاتب أن يسمعه، وسؤال الباشكاتب عن تفاصيل دقيقة يوحي بالعجلة؛ فالشخصية تدرك قرب الأجل دون ظهور للعلامة المنشودة، لذا حرص على الاجتهاد "صار الباشكاتب يقضي كل وقته في غرفته. كان يطفئ النور بالليل ويغلق الشيش بإحكام في النهار وترتفع صلواته وأدعيته بصوته المتهدج.وكان يجلس في الظلمة ينتظر. ولكن أبو خطوة ظل يأتيه مؤنبا دون أن يفهم السبب" [٢]، وكان يحث سالم على أن يدعو له باقتراب النور، فلما سأله أي نور قال: النور العلامة، وتأنيب أبي خطوة كان لأجل هذا الانتظار؛ لأنه كان يطفئ النور المستعار لأجل النور الحقيقي، وأبو خطوة لا يقصد هذا، بل كثيرا ما كان يذكره بأنه "لا ييأس من الوقت إلا من يجهل أن الرحمة تسبق الوقت ولا يسبقها الوقت"[٣]، ورؤية النور ليست مقتصرة على انتظاره في الظلام بل في الظلام والنور فلا يحصر نفسه في موضع واحد من الزمن لرؤية العلامة.

وفي هذه الفترة حدث صوت كأنه سقوط للعمارة التي يقطنون فيها؛ فسارع الجميع وعلا الضجيج والصراخ، واتجه سالم وشعبان إلى غرفة الباشكاتب لإنقاذه إلا أنه أبى الخروج، "وقال بصوت متهدج: رأيت ذلك في

(١) نقطة النور ، ص ٢١٠- ٢١١.
(٢) السابق، ٢١٣.
(٣) السابق، ص ٥٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المنام! رأيت سمية تجري وكنتم كلكم تجرون وراءها"[١]، فقد رفض الخروج من غرفته ودفعهما إلى خارج الغرفة وفي هذا تشبث بالمكان وربطه بظهور العلامة أو الموت، ورؤية سمية حنين إلى الماضي، وتطلع إلى اللقاء، ورؤية مستقبلية بالأحداث مغلفة بتعريض خفي بقرب الوصول.

وبعد أن اتضح الأمر بأنه ليس زلزالا، وإنما سقوط شرفة الست إنصاف مع سحارتها، قرر مسئولو الحي إخلاء البيت، فبكى الباشكاتب وطلب من ابنه شعبان التصرف؛ لإبقائه في مكانه وقال إنه حلم باقتراب العلامة.

وبالفعل بعد أن اعتاد الباشكاتب غلق النوافذ ليل نهار، وفي أحد الأيام فوجئ سالم بجده يفتح نوافذ الغرفة ويجلس على سريره، لم تفارق الدهشة وجه سالم وسأل جده عن هذا التغير وبدا على الباشكاتب الكبر والضعف، فقال سالم بشيء من الرحمة على جده رجوتك أن تأكل وترتاح، ولكن الجد الذي بدا أنه وصل إلى مراده قال: "ألم أقل لك من قبل إنه مع كل جزء يموت من هذا الجسم يصحو جزء من الروح؟ وأنا الآن كما تراني يا ولدي وأحب أن ألقى الله بروح حية."[٢]

وقد مثلت رؤى الباشكاتب وأحلامه مراحل النضج الصوفي للشخصية، وحملها الكاتب دورا في إبراز الجانب الروحي الذي كان يسعى إلى تقديمه مع الجانبين الآخرين الجسدي والنفسي.

---

(١) نقطة النور ، ص ٢١٥.

(٢) السابق، ص ٢٢١.

أحلام الباشمحضر السيد السنانيري (أبو خطوة)

يبدأ الكاتب روايته بكرامة لأبي خطوة قصها الباشكاتب على حفيده إشارة منه إلى تلك الشخصية التي تعد أيقونة التصوف الحق، وهي السر فيما آل إليه حال الباشكاتب بتغيره إلى نفاذ بصيرته في الأمور، وهذا البدء بهذه الكرامات المحببة إلى المتلقي؛ ظلت شخصية أبي خطوة متلبسة بشخصية الباشكاتب ظاهرة في تطور أحواله وإن كانت تختفي حينا وتظهر حينا آخر، فقد روى الباشكاتب لحفيده أن أبا خطوة شوهد في وقت واحد يؤدي صلاة العصر في مسجد الحسين في القاهرة، وشاهده آخرون في أسيوط يصافح بعض أصدقائه ويتحدث إليهم، ولكن الباشكاتب لم يكن يرى من أبي خطوة هذه الكرامات التي سمع عنها، وبينما هو يسترجع في استرجاع خارجي آخر لقاء بينه وبين صديقه، ذكر فيه إصابة أبي خطوة بحالة إغماء فقد على إثرها وعيه واستغرق هذا عدة دقائق ثم أفاق ونظر إليهم "وقال بهدوء واستغراب: كيف يسبق جنازتي موكب وتشريفة وأنا لست من الحكام؟ وما حاجتي إلى التشريفة وأنا يكفيني قلب واحد طاهر يصحبني إلى مثواي؟"[(١)] تلك كانت رؤيا أبي خطوة التي تحققت بعد وفاته في اليوم التالي، وكما تحققت هذه تحقق أيضا لقاؤه بزملائه الذين قال لهم إنه سيلقاهم غدا؛ فقالوا غدا الجمعة، فقال يوم مبارك ولم يزد، وفي اليوم التالي كانت أسيوط تودعه، وهناك جنازة في الوقت نفسه لأحد اللواءات تتقدمها الموسيقى وصفوف الجنود، فبدت كأنها تشريفة لجنازة أبي خطوة التي رأها في إغماءته.

(١) نقطة النور ، ص ٢٢٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يكثف الكاتب الحديث عن النور بعد هذه الرؤيا، ويعُد المتلقي معه لختام الرواية التي بدأها بأبي خطوة، ويلمح سالم الذي كان ينصت إلى كلام جده بقوله: "ألم يقل يا جدي إنه يريد قلبا طاهرا يصحبه إلى مثواه؟ هتف الباشكاتب وقد بدا الإجهاد يتسسل إلى صوته: ولكني خاطئ! لم يزرني النور!"(١)، وماهي إلا لحظات حتى أشار الباشكاتب بيده وهو يردد أنا أرى! أرى يا سالم، وبعدها سقط ليتوقف تماما عن الكلام ويظل تحت الملاحظة والعلاج؛ لأن الطبيب وصف حالته بأنها شلل كامل.

وظف الكاتب شخصية أبي خطوة في عدة أبعاد درامية؛ منها أنه جعله مرجعا للتصوف صاحب المنهج الواعي بأبعاد النفس البشرية ورغبتها الكامنة في الصلاح إذا بدا من أفعالها الخير؛ كفراسته في قراءة صلاح الباشكاتب ووقوفه إلى جواره حتى يرى النور مرة بالترغيب ومرة بالتعليم، كما قدم الكاتب صور السمو الروحي لدى ثلاثة على اختلاف أنماط سموهم؛ هم أبو خطوة والباشكاتب وسالم، وأخيرا قدم الكاتب نموذجا من نماذج العزوف عن الحياة والسياسة والهروب من مشكلات المجتمع لإصلاح مشكلات النفس، فهي أولى عندهم من حل مشكلات مجتمعهم أو ربما لعجزهم الداخلي عن تقديم المساعدة هناك فانشغلوا بأنفسهم، وهو صنف مهم في لحمة المجتمع؛ بل هو الصنف المقابل لذاك الصنف الذي يحمل هموم المجتمع على عاتقه ويلقى ويلات الإيذاء والعنت.

(١) السابق، ص ٢٢٥

أحلام صفاء ودادة سنية (مبادلة الحب)

يصف الكاتب تعلق صفاء بمربيتها دادة سنية التي تركتها مع ابنتها لبنى بعد طلاقها من الدكتور شوكت والد لبنى، لم يذكر الكاتب حلما متكاملا وإنما أشار إلى الحلم؛ فصفاء التي تحب مربيتها تذكرها في مونولوجي داخلي يبرز مدى حبها لها وتآلف روحيهما حتى أنها "أحيانا تفكر فيها بالليل وتحلم بها ثم تصحو وهي تبكي"(١) وبعد أربع عشرة صفحة من الرواية يذكر تبادل الحب بين صفاء ودادة سنية، فقد كانت الدادة تبادلها الحب الحقيقي؛ حدثت نفسها بعد واقعة سالم مع لبنى وذهاب لبنى إليها لتحكي لها عما حدث بينها وبين سالم، وكانت من قبل قد ذكرت لها ما حدث لها من المدرس الذي اغتصبها "وقالت دادة سنية لنفسها قلبي يحدثني منذ الصباح. لم يكذب علي أصحو منقبضة فأعرف أن شيئا سيحدث لصفاء أو لابنتها. أقول ليت ظني يخيب فلا يخيب، يا حسرتي! وهما نصيبي من الدنيا"(٢)، فمبادلة الحب جعلت من الأحلام محط اهتمام الشخصيات بعضها ببعض، والتوافق الروحي يوحد القلوب كما يوحد اهتمامها ويتساوى عند الشخصيات الوعي واللاوعي.

ثالثا: دور المفارقة في الكشف عن خبايا الشخصيات وآفات المجتمع.

أدى اختيار الكاتب فترة العمل الروائي في الستينات والسبعينات التي شابها كثير من التوتر والتناقض إلى تنوع بيئات العمل الروائي وثرائها وتناقضها الواضح؛ هذه الفترة التي اتسمت بالاغتراب النفسي لدى شخوص

(١) نقطة النور ، ص ١١٦.
(٢) السابق، ص ١٤٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العمل مع هذا التنوع والتباين؛ فمن أسرة في ميدان السيدة زينب حيث الأماكن الشعبية التي تحمل عبق الماضي وجذور هذه البلاد إلى أسرة أخرى تقيم في جاردن ستي[١]، و"تلعب القيم الخلافية لعناصر السرد دورها العفوي في إبراز الصورة وتكوين الدلالة، وهي دلالة تكتسب منذ البداية مذاق الحياة ونكهتها بمفارقاتها ودراميتها قبل أن تسفر عن وجهها الفاجع في الأحداث التالية"[٢]، وقد بدت المفارقة واضحة من خلال هذا الاختيار ليبرز من خلاله أحوال المجتمع وتبدل القيم والمعايير، هذا التغير الذي لم يصب رئة واحدة من المجتمع بل أصاب الكل، في عرض شاف لأحوال المجتمع المتناقضة، والمفارقة وجدت من العمل الروائي مجالا خصبا للتعبير عن القيم الخلافية والتناقض على مستويات كثيرة، وهو ما تعجز عنه أية تقنية نقدية أخرى؛ يقول دي سي ميوك وهو ممن أولوا المفارقة عناية خاصة في بحوثهم النقدية: "إن طبيعة الرواية تجعلها مؤهلة لقيامها على المفارقة"[٣]، فقد جعل من الرواية الجنس الأدبي القادر على التفاعل مع تقنية المفارقة والإفادة من تأثيرها.

تنوعت صور المفارقة في الرواية؛ فجاءت لتغطي جوانب العمل الروائي وأفعال شخصياته التي تقوم على التناقض، فأحيانا تكون المفارقة داخل الشخصية وأحيانا أخرى يعرض الكاتب للمفارقات بين مواقف

---

(١) حي من الأحياء الراقية في القاهرة تأسس في عهد الخديوي إسماعيل؛ ليعيش فيه الطبقة الارستقراطية من المجتمع لاستقبال الأجانب ضيافتهم عند افتتاح قناة السويس.

(٢) أساليب السرد في الرواية العربية، د. صلاح فضل، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط١، ٢٠٠٣م، ص٦٥.

(٣) المفارقة وصفاتها، دي سي ميوك، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤ، دار المأمون، للترجمة والنشر، ط٢، ١٩٨٧م، ص ١٠٦.

شخصيات العمل حيال موقف معين، وحدُّ الباحث عن التناقض أن يقف على الألفاظ والتراكيب ليكشف عما توحيه هذه الألفاظ وتلك التعبيرات من معان تعتمد على التأويل من خلال محاكاة الرواية للواقع الخارجي الذي برع الكاتب في إسقاطه عبر هذا البناء، من خلال تصوير جوانب التناقض في مجتمع السبعينات وبحث الناس عما ينجي الروح ويبقيها متقدة مقبلة على الحياة مستثمرة من الحياة لما بعد الحياة؛ لذا "يرتكز التأويل على مفهوم المفارقة بين الكلمات والأشياء، أو بين اللغة بوصفها تعبيرا يتوسل الملفوظات الصوتية، وبين الواقع بما يعنيه من وجود محسوس وتجربة معيشة، وعليه فإن محتوى العمل الأدبي هو مجرد تصور ولا يمكن للحقيقة التي يبني العمل الأدبي معناها، إلا أن تكون نسبية؛ لذا فالمعنى من هذه الوجهة مفتوح على التعدد، ربما اللّامحدود"(١)، وهذا المزج بين السياسة والتصوف منح النص ثراء التعدد وكثرة القراءات حول دلالاته؛ مما يخدم بشكل كبير تنوع المفارقات وغزارتها.

مفارقة العنوان

العنوان مدخل القارئ إلى النص لذا يكون اختياره من قبل الكاتب دقيقا؛ فهو يُحمّله عصارة فكره ورحيق عمله، جاعلا منه سورا يحيط بالعمل وقارئه، يحتمي به القارئ إذا ذل، ويستضيء به إذا ضل، ويصحبه على علاته حيث لا صاحب غيره.

(١) فن الرواية العربية، بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، د. يمنى العيد، دار الأدب، القاهرة،٢٠٠٢م، ص٤١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعنوان الرواية جاء مركبا من كلمتين متضايفتين مع حذف أحد ركني الجملة؛ لتبدو الحيرة من أول وهلة مع العنوان الذي يفسح المجال خصبا أمام المفارقة، فقد أخفى الكاتب أحد ركني الجملة؛ مبتدأ الجملة أو خبرها؛ ليشترك المتلقي معه في البحث عن مكونات جملة العنوان المبهمة، والبحث لن يكون في تكملة هذا التركيب فالمقصود أكبر من هذا، بل البحث عن النور نفسه الذي ملأ الرواية وحيّر شخوص العمل بحثا عنه.

وفي ظل البحث عن تكملة العنوان يتبين أن الرواية أيضا متسقة معه في هذا التناقض فرغم ظهور نقطة النور كما هي في عنوان العمل ماديا إلا أن إدراكها للمتلمس معنويا يظل دأب البحث عنها سبيل شخوص العمل؛ فمع الوضوح والظهور لأسباب النقطة يظل البحث عنها أمرا مجهدا لمن يخطئ الوصول مع ظهور الأدلة والبراهين، وفي هذا دليل على قصور في النفس لا يساعد الباحثين في إدراك الصواب سواء كان هذا النقص في مكونات الشخصية وبنائها الداخلي أو في مشاركة أحداث المجتمع المحيط لهذا التخبط والضياع والانصراف عن الهدف بقصد أو دون قصد.

والمفارقة تبدو ظاهرة في العنوان الذي أراد الكاتب أن يفسح المجال له في الظهور دون بسط كامل يشغل القارئ، وحتى لا تكون للقارئ حجة من خطأ أو إغفال؛ وبخاصة أنه "يمثل نقطة مركزية، أو لحظة تأسيس بكر تنقل القارئ إلى داخل النص، حاملا إشارات دالة وملامح موحية تعينه على الكشف والاستبطان[١]، ورغم التركيز على نقطة النور في العنوان وظهورها دون منازعة من بقية التركيب إلا أن البحث عنها يظل جهد القارئ الذي

(١) سيمياء العنوان، بسام قطوس، ،مكتبة كتانة، إربد، ط١، ٢٠٠١ ص ٤٩.

يحمل هذه النقطة بنورها ويسير في دروب النص الممتلئ بالظلام باحثا عن ضالته.

وتتجاذب العنوان على قصره عدة ثنائيات متقابلات تثير هذه المفارقة الكامنة أو المخبأة القابلة للانفجار وراء هذا العنوان السهل:

النور/الظلام، النقطة/الفضاء، التصوف/الحياةالعملية، المشكلات/نوعية الحلول، الفردية/الجماعية، الحقيقي/ الاستعاري.

ومن خلال هذه الثنائيات المتجاذبة أصبح العنوان محملا بالمفارقات التي تدعو القارئ قسرا إلى البحث عن جماليات النص وحسن النظر مع الانتباه إلى مزالق النص.

مفارقة الحدث

تموج الرواية بالمفارقات المتنوعة؛ نظرا لوقوعها في فترة حرجة من تاريخ مصر، فترة تتنوع أحداثها من الهزيمة إلى النصر، ومن عهد حاكم إلى آخر، وتشير مفارقة الحدث إلى التناقض بين ما يحدث في الرواية من أحداث قد تؤدي إلى نتيجة غير متوقعة؛ فيفاجأ المتلقي بخلاف ما كان ينتظر؛ فقد كان يُنتظر من علاقة الحب بين سالم ولبنى أن تطول وأن تأخذ مجراها الطبيعي، لكن حدثت المفاجأة غير المتوقعة بسقوط الحبيبين في علاقة أعادت إلى أذهان لبنى ما كانت تحاول الهرب منه ونسيانه، وهي جريمة الاغتصاب التي حدثت بينها وبين المدرس؛ فأصابها الاغتراب النفسي الذي جعلها تفقد الثقة في العالم الجديد، وتفقد نقطة النور التي أضاءت حياتها رغم الاضطرابات الخارجية والداخلية التي كانت تعاني منها وتخاف منها خوفا مرضيا؛ فالاضطرابات الداخلية متمثلة في الهروب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والخوف من الماضي الذي يلاحقها منذ الطفولة علاوة على تدمير مدرس المرحلة الثانوية لمستقبلها كفتاة، كانت هناك صراعات سابقة؛ كصراع الأبوين وشجارهما الذي كانت تظن نفسها سببا فيه، والصراعات الخارجية بانتمائها إلى مجموعة من الطلاب الذين يرفضون سياسات السادات ويميلون إلى عهد الناصرية، ومشاركتها لهم دون هدف أو شخصية لتجد نفسها في السجن بعد واقعتها مع سالم، ولولا معارف والدها التي أخرجتها من ورطة السجن لظلت فيه ردحا من الزمن، ولما خرجت من السجن أرسلها والدها لدراسة القانون في إيطاليا؛ تخلصا من مشكلاتها مع النظام، وتفريقا بينها وبين سالم بعدما ذهب إليه سالم يسأل عنها في لهفة، وأظهر حبها لأبيها الذي لم يكن على استعداد لقبول هذا الحب؛ فوجد من كل هذه الأسباب علة للتخلص من مشكلات ابنته.

مفارقة أخرى رصدتها الأحداث تمثل تفاوتا بين القصد والنتيجة؛ ففي التفاؤل الذي كان عليه فراج زوج فوزية بيان ذروة التناقض بين ما يتم من إصلاحات، وما يروج له من شعارات وخطط مستقبلية بعد حرب أكتوبر١٩٧٣م، وبين ما تسهم فيه المعاهد الإشتراكية من إقناع الناس بالإقبال على العمل لزيادة الإنتاج، وكل الوعود بالتوجه نحو الزراعة والصناعة والمستقبل المشرق للبلاد، وهو أمر طبيعي بعد انتصار الدول في أخطر حروبها حيث تتخذ من هذا الانتصار دافعا للنهوض والتقدم نفسيا ومعنويا وماديا، لكن هذا كله تبخر كالسراب بعد وقوع البلاد في قبضة الانفتاح الذي قضى على مكتسبات البلاد النفسية، وأغرقها في ديون لا حصر لها تحت دواعي النهضة التي حملت في طياتها الفساد من جانب القائمين على الإصلاح أنفسهم؛ ففراج الذي كان ينتظر هذا الإصلاح كي

ينهض ويسعد أسرته التي أصبح لا يقدر على توفير قدر يسير من مستلزمات الحياة لهم؛ لأن مرتبه يتبخر قبل نهاية الشهر بكثير نظرا للسياسات المالية الخاطئة، ويرى من زملائه غير ذلك فلا يهلكون أنفسهم في العمل كما يفعل، ويشكو حاله إلى الباشكاتب وشعبان صهره "وإن من يحصلون على المكافآت والعلاوات هم محاسيب رئيس مجلس الإدارة الذين يعطلون الإنتاج" لأنهم لا يفعلون شيئا للشركة وبقومون بأعمال خارجها... وأن هؤلاء الموظفين يدبرون أمورهم، يدفعون "المعلوم" ويقدمون الهدايا للرؤساء ليسمحوا لهم بالتفرغ لأعمالهم الخارجية ولإرسالهم أيضا في إعارة للبلاد العربية"(١)، هذه السياسة المتناقضة بين الوعود والمأمول خلقت من فراج شخصا مغتربا في وطنه، فلا هو قادر على أن يظل كما هو يرى ويصمت؛ لأن ما يحصل عليه لا يكفي لحياة أسرته ومعيشتها وأبسط حاجياتها، ولا هو قادر على مجارات الوضع القائم والمنتشر في تلك الشركات من سرقات ونهب لمقدرات الوطن، فكان الاتجاه الثالث حيث بدا في آخر الرواية وقد أعفى لحيته منضما إلى التنظيمات التي ظهرت أبان عهد السادات.

مفارقة أخرى للمجتمع المتحول من حال إلى حال أخرى تحتاج إلى سنوات إلا أنها حدثت بشكل غير متوقع ومفاجئ لشخوص العمل، ويصور حوار جابر جرسون المقهى هذه المفارقة " قل لي يا جابر كيف حال زبائنك؟. انتهوا يا أستاذ، الدنيا تغيرت والزبائن تغيروا. حقا؟ قل لي كيف يتغير الناس، أحب أن أعرف. قال بانفعال وهو يضرب كفا على كف: يتغيرون بسرعة! الزبائن القدامى اختفوا، يأتيني الآن في المساء شباب

(١) نقطة النور، ص ١٧٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعواجيز لا يتحدثون إلا عن السفر إلى بيروت وتمرير البضاعة من الجمرك وتغيير الدولارات، حتى زبائن زمان المحترمون مثل حضرتك بعضهم الآن يا أستاذ يشتغلون تجار شنطة..."[١] هذا الانفتاح أشعل الأسعار في البلاد فبدأ تراجع العملة الوطنية في مقابل الدولار، واندثرت بعض المهن وقامت مهن أخرى تعتمد على التربح دون تعب، وقضي على الطبقة المتوسطة من عمال وفلاحين نظرا لثبات دخلهم فبدأ يضعف شيئا فشيئا ثم يخبو، ونهض التجار بجميع ألوانهم، وظهرت مطاعم الانفتاح ودخول المنتجات الغربية إلى الأسواق مع تراجع في الصناعة والإنتاج اعتمادا على رخص ثمن هذه الواردات، فتعطلت الصادرات وغرقت البلاد في الديون، والمفارقة فيما أحدثه الانفتاح الذي كان المراد منه سياسات اقتصادية رأس مالية جديدة تنعش الاقتصاد، فإذا به يدخل البلاد في تبعية اقتصادية للغير.

وإلى جوار هذه المفارقات يبدو تناقض من نوع جديد يعصف بكل دعاوى الإصلاح؛ لأن التناقض جاء ممن ينتظر منهم حماية هذه السياسات؛ وتمثلت المفارقة هنا في زوج أخت شوكت وهو دبلوماسي يعمل في إيطاليا، ومن خلال كلام لبنى يتضح التناقض الفج بين الشعارات وما يدور على الأرض، فقد كان يعمل هذا الرجل مع المهربين، رأت لبنى وهي في بيت زوج عمتها الدبلوماسي تجار الانفتاح الذين كانت تسمع عنهم، فقد كان قريبا منهم لدرجة أنه كان يدعوهم إلى العشاء "وبعد أن يأكلوا ويشربوا عدة كؤوس من الويسكي يفلت عيارهم وتنطلق ألسنتهم. يتبادلون الخبرات عن كيفية تهريب الشحنات من الجمرك، وعن أماكن شراء البضائع المضروبة من إيطاليا وتمريرها على أنها بضائع صالحة، وعن أضمن الطرق لتهريب

(١) نقطة النور ، ص ٥٥.

العملات، ومن الذي يجب أن يدفعوا له في البلد...!... ولكن ما ادهشها أكثر أن زوج عمتها الدبلوماسي المثقف يصبر على سماع أحاديث هؤلاء اللصوص... اعتقدت أن هذا جزء من عمله أنه ربما يجمع معلومات أو شيئا من هذا القبيل، ولكم لم يمض الوقت حتى اكتشفت أنه شريك، يتبادل المصالح معهم"(١)، وبدا لها وسط هذه المفاجآت موقف الطلبة الفقراء الذين يريدون مستقبلا أفضل لوطنهم، وظهرت على السطح مفارقة أخرى شعرت بها عند معاملتها لهم في السابق، فقد كانت من قبل تكره رائحة هؤلاء الطلبة وتشمئز من مجالستهم رغم انضمامها إليهم ضد هذا الفساد، وظهر لها أن هذه الرائحة أطيب عندها من الروائح الخادعة المزيفة التى يضعها أمثال هؤلاء القائمين على حماية الوطن وتمثيله في الخارج.

مفارقة أخرى تبينها الأحداث على مستوى المواقف؛ فشوكت الطبيب المشهور صاحب المستشفى الاستثماري الذي شارك في شبابه في المظاهرات ضد الناصرية وسجن ثم فهم الدرس، واتجه إلى بناء نفسه؛ ليكون واحدا من هؤلاء وليركب موجة الانفتاح، وقد كان في الأصل ابن لفلاح يعمل خولى عند أحد الأغنياء وأمه خادمة جلبت من استانبول لتعمل في بلاط الغني تحت اسم (كمريرة)؛ تنكّر لهذا الأصل وكان يردد في غير موضع أنه شوكت ابن شوكت هو من صنع نفسه بنفسه، بالإضافة إلى سخريته من الفقراء الذين ينتظرون أقاربهم في المطار من العمال القادمين من الخليج مرددا يا عمال العالم اتحدوا، ويرى أن الطريقة الوحيدة للقضاء على الفقر هي القضاء على الفقراء، ولم يسخر من هؤلاء فحسب بل سخر ممن يحاول الوقوف في وجه الفساد؛ فيدخلون السجن وقد وصفوه بالخيانة؛

(١) نقطة النور، ص٢٠٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقول إنه ترك لهم بكل ارتياح السجن والفقر وتغيير التاريخ بدونه، وتتصل هذه المفارقات بمفارقة أخرى أنه رأى في الجيل الجديد الذي شاهد عهد السادات يدافع عن عهد عبد الناصر ويدخل السجن لأجل هذا الدفاع، ومنهم ابنته؛ يقول: "تحب الرجل الذي لم يكره في حياته أحدا كما كرهه وتدخل من أجله السجن... تحن إلى الزعيم الخالد الذي لا يأتينا من ورائه إلا السجن حيا وميتا! خالد فعلا"(١)، وفي ظل مظاهرات الطلبة كان يخشى على نفسه أن تستجيب الحكومة لهؤلاء العيال على حد وصفه فتؤمم المصالح، وفي حواره الداخلي يردد "من حسن الحظ أن لديه مبلغا لا بأس به في الخارج.. ولكن مم يخاف؟ لا يمس أحد المستشفيات. طالما بقي الإنسان فستبقى الأمراض"(٢)، كل هذه المفارقات في نفس شوكت المريضة تجعل المتلقي يفاجأ بهذه الأقنعة التي يختفي وراءها هذا الرجل وأمثاله، فهو لم يترك انحرافا إلا كان له نصيب منه؛ فالرجل تنكر لزملائه بعد سجنه وكان متصلا قبل السجن بالشيوعيين، وهو الرجل ذاته العاجز جنسيا مما اضطر زوجه صفاء إلى حيلة للخلاص منه بعد أن اتفقت مع صاحبه صدقي الذي كان يستورد معدات المستشفى له لتمثيل الخيانة عليه حتى تتخلص منه، ووقتها لم يحرك ساكنا لخوفه على نفسه من السجن أو الفضائح ففضل السكوت لمصلحته، كما أنه كان يفرض نفسه على بعض النساء لشهرته، ومن الأحداث يظهر محاولته لخرق كل الأعراف حين ذهب إلى غرفة ابنته بعد عودتها من إيطاليا فقامت بصده وردعه، بالإضافة إلى كونه سكيرا، وليس له أصدقاء خارج مهنته بل كل من يتعامل معه هم مرءوسوه، فليس غريبا

(١) نقطة النور ، ص ١٤٩.
(٢) السابق، ص ١٥٠.

أن تجتمع كل المفارقات في شخصه لتقدم للمجتمع إلى جانب اللصوص والمهربين لونا آخر من ألوان البشر الذين يختلف ظاهرهم كليا عن باطنهم.

المفارقة الزمانية

تجري طريقة الحكي على سرد الأحداث تباعا ومن سمات الرواية الحديثة تنوع الزمن بين الانتظام والعودة إلى الماضي أو استباق الحدث بشيء في المستقبل يخدم السرد لحظة القص، وهذه المفارقة الزمانية التي يحدثها الراوي في طريقة سرده تقديما وتأخيرا تكون لغرض جمالي وتشويقي يخدم غرضه، ثم يأتي دور المروي له (المتلقي) في كشف مواضع المفارقة وتوظيفها في فهم الأحداث والتعمق في إدراك دفائن الشخصيات ودواخل نفوسها حتى تحقق الرواية الغرض المنشود من كتابتها؛ والمفارقة الزمانية تظهر عند "عدم التوافق في الترتيب بين الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تحكى فيه، فبداية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت في وقت سابق تشكل نموذجا مثاليا للمفارقة، في علاقتها باللحظة الراهنة فإنها اللحظة التي يتوقف فيها الحكي المتساوق مع الزمن لمساق ما ليتيح نطاقا لها"[(١)]، وهي تمتطي آليات هذا الزمن الروائي لتقف على مواضع التباين والتناقض فيما يعرضه الكاتب من أحداث مرتبطة بزمنين مختلفين، ويساعد هذا الأمر على جمع المتناقضات وقراءة الشخصيات والأحداث قراءة تجعل المتلقي يعي بواطن العمل الإبداعي وأسراره.

(١) المصطلح السردي، جيرالد برانس ، ترجمة عابد خزندار، راجعه وقدم له محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١،٢٠٠٣م، ص ٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والمفارقة تجمع أيضا بين زمنين هما أساس التقسيم الزمني: الزمن الداخلي الذي يخص الفترة التي اختار الكاتب عرض أحداثها، كما يتطرق توالي الأحداث منذ بدأت حتى انتهت، بالإضافة إلى العلاقة بين السرد والزمن تقديما وتأخيرا وغير ذلك، والآخر الخارجي الذي يتصل بالراوي والقارئ وبكل ما هو خارج الرواية؛ "مثل زمن الحكاية وزمن القراءة، وعلاقة كل من الكاتب والقارئ بالنسبة للفترة الزمنية التي يتحدث عنها الكاتب "[١]

بدأ الكاتب أحداث الرواية بفترة الستينات حيث طفولة سالم وخروج الباشكاتب إلى المعاش، وعرض لحديثه عن صديقه أبي خطوة أثناء جلساته مع حفيده سالم الذي كان طفلا، وفي تلك الفترة ظهرت حالة الهذيان على سالم في سن العاشرة، وعرض الكاتب لزواج فوزية وكان سالم في السنة الثانية من المرحلة الثانوية، وقدم الكاتب للاسترجاع الأول بحديث الباشكاتب عن سعاد زوج شعبان، وما جعله يتحدث عنها تلك المشادة التي حدثت بينه وبين ابنه شعبان الذي كان يرفض فراج المتقدم لفوزية، ولما علم من أبيه بوجود علاقة بينهما؛ وبخ والده واتهمه بتدمير حياته وحياة أولاده، ثم عاد الباشكاتب إلى تذكر زوجه سميه في استرجاع خارجي –أي أنه رجع إلى ما قبل بدء الرواية– كما عاد إلى استرجاع ما كان يدور بينه وبين صديقه أبي خطوة، وكان يحن إلى الماضي كلما حدث له أمر يتصل به؛ فيستأنس بذكره.

أبانت المفارقة الزمانية في القسم الأول من الرواية استرجاع الباشكاتب في عرض لشخصيات أثرت في حياته محاولا تقديمها للقارئ كجزء من

(١) الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، دار فارس للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥٢.

زمان مضى ملأ نفسه بالحب والنور، وكانت هذه الشخصيات سببا في استقراره النفسي وبحثه عن نقطة النور التي كان ينشدها، كما تبين هذه الاسترجاعات المفارقة بين الزمن الماضي بما يحمله من طمأنينة وسكينة وراحة، وما يحدث في هذا الزمن الجديد المليء بالصراعات والشروخ؛ يقول بعد ذكر زوجه سمية: "لماذا كانت كل أيامنا ولياليا يوما واحدا ممتدا من النعيم ولماذا صارت الأيام بعدها طويلة كالدهور؟"(١)

وفي القسم الثاني وهو بعنوان لبنى يبدأ القسم بعرض شقة لبنى، ويعرض فرحتها التي لم تذق مثلها منذ سنوات طويلة هذه الفرحة التي جلبها تعرفها على سالم، وبداية حبهما الجديد الذي ملأ كيانها بالغبطة والسرور، وتلح المفارقة الزمانية هنا لتحول هذا السرور في استدعاء لكل شقاء الماضي؛ فقد استرجعت لبني زواج أبيها بأمها ومعاناتها معهم، كما استرجعت علاقتها بمرتضى زميل لها في الجامعة، ولكنها قالت إنه لا يستحق؛ لأنها اكتشفت أمره لما عرفته بعد ذلك من نفاقه السياسي ومحاولته تملق الأساتذة في الجامعة، واسترجاعها للفاجعة الأكبر في حياتها بينما كانت في السنة السادسة عشرة من عمرها وفي السنة الثانية من المرحلة الثانوية وقع لها اغتصاب من مدرس الرياضيات المعروف بحمام ألجأها إلى العزلة والخوف الشديد من كل شيء، وحضور الاسترجاع الأليم وقت السرور ينكسه، كما أن له دورا في كشف بواطن الشخصية، وله دور في إبراز المفارقة بين ماضي الشخصية وحاضرها.

(١) نقطة النور، ص ٤٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وينتقل الكاتب ليعرض استرجاعا آخر للباشكاتب يعرض تفاصيل زواجه العرفي من نازلي هانم، وكان قد تم قبل خروج الباشكاتب إلى المعاش بأيام قليلة، وبخاصة بعد أن بدأ يبحث عن إرضاء رغبات جسده، فقد ظل وفيا لسمية سنوات طويلة، وعرض لرفضه الدخول في علاقات محرمة لكنه لم يتمالك نفسه وهو يقتني عددا من المجلات المصورة للنساء، أبان هذا في استرجاع خارجي، وما استدعى ذاك الاسترجاع إلا ظهور شرخ في البيت الذي عاش فيه، وامتد هذا الشرخ ليرتبط بتسارع مشكلات أسرته والمجتمع الذي يعيش فيه، ومقارنة حاله قديما وحديثا فقد كثرت أمراض المجتمع وعم الغلاء، وكان قد بذل كل مدخراته للحاق بركب الغلاء ولكن دون جدوى، لذا حول همه إلى الإطلاع على كتب الذكر فحفظها ونفذ ما فيها من وصايا للهروب من مجتمع يشعر فيه بالغربة تجاه كل شيء.

ومن صور المفارقة الزمانية استرجاع شوكت لبعض ماضيه مع السياسة والسجن وعلاقته بصفاء، ويظهر التناقض في مواقف شوكت قديما وحديثا قبل الانفتاح وبعده، ففي العهد الناصري كان شيوعيا ثوريا يناهض النظام لصالح العمال والبسطاء، ثم ما لبث أن تحول إلى الرأسمالية والأنانية المفرطة لا يرى إلا نفسه ونجاحه وماله، بل إنه تنكر لكل مبادئه القديمة وعدها ضربا من السفه والجهالة، فالأنظمة الحاكمة باقية لن تتغير؛ ولذا يجب أن يهتم الإنسان بنفسه ومستقبله ولا يضيع عمره في هذا السفه على حد وصفه.

وفي القسم الثالث من الرواية تعود فوزية إلى الماضي لاسترجاع علاقتها العاطفية بفراج التي كانت سببا في إتمام زواجهما، فلم يذكر الكاتب قصة هذه العلاقة بتفاصيلها، وكيف سقطت في الخطأ بل لمَّح في بداية

الرواية إلى أن زواجها بفراج سريعا رغم رفضها لكثير من المتقدمين كان بسبب هذه الواقعة، وقد حدثت بين الباشكاتب وابنه شعبان مشادة لأجل ذلك؛ فتعود بنا فوزية في استرجاع داخلي يكشف أزمتها النفسية، وأن ما فعلته كان سببا في رخص قيمتها مع زوجها بالإضافة إلى تركها التعليم في المرحلة الإعدادية جعلها ناقصة في عين زوجها الذي كان يرغب فيمن يساعده ضد غلاء المعيشة، فلم تحفظ نفسها ولم تهتم في السابق بتعليمها؛ مما أوقعها في هذا الألم النفسي الذي كانت بتصرفها سببا فيه، ولولا تغيرات المجتمع المتسارعة والغلاء ما كان كل هذا اللوم.

استرجاع آخر للباشكاتب يبين حبه للمكان وعشقه لكل ذرة تراب في ميدان السيدة، وفرحته عندما يرى القبة والمئذنة وزحمة الناس حول المقام بعد عودته من أسيوط أو المنصورة محل عمله، يخفق قلبه ويود لو يصافح كل من في الميدان، وبين ما كان عليه الميدان قديما وحديثا لا يتغير حب المكان بل الذي تغير هو الزمن وحال الباشكاتب الذي أصبح يتوكأ على العصا بعد أن كان يمسكها على سبيل الأناقة، وفي ظل هذا الزحام يتساءل الرجل عن الخلوة لرؤية النور "كيف وهو ممتلئ بالدنيا إلى هذا الحد سيصل إلى العزلة والخلوة اللتين تقول الكتب ألا وصول بدونهما؟"[(١)]

وفي آخر الرواية استرجاع خارجي أبان فيه الباشكاتب كرامات صديقه أبي خطوة- ولم يكن قد رأى بعينيه من قبل كرامة واحدة له- الذي قال بعد أن أفاق من إغماءة ألمت به، كيف يتبع جنازتي موكب وتشريفة ولست من الأعيان، ولما مات تزامن مع موته موت ضابط كبير في الشرطة، أقاموا له

(١) السابق، ص ١٨٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موكبا وتشريفة وشيعا معا إلى مثواهما الأخير، كان استدعاء هذه الكرامة مع قرب انتهاء الرواية تذكير لنفسه بقرب ظهور العلامة، وأن تأخر علامته التي ينتظرها لم يكن تأخرا؛ فهو لم ير من صديقه علامة على سمو روحه إلا قرب وفاته، فكان في استدعاء هذه الكرامة تسلية لفؤاده، وبالفعل اتفقا معا في رؤية العلامة قبل الوفاة، فقد رأى الباشكاتب علامته بنفسه وسبقها علامات أخرى كرؤياه بازدهار تجارة ابنه شعبان، وعودة فوزية إلى بيتها بعد هجر دام شهور بينها وبين زوجها، ولما رأى علامته لم يتكلم بعدها كلمة بل قال: أنا أرى وسقط على سريره، وتوقف كل شيء في جسمه عدا قلبه الذي ظل ينبض، وأصر الكاتب على أن يتركه ليجتمع الباحثون عن النور سالم ولبنى والباشكاتب في نهاية الرواية.

وهناك مونولوج داخلي واسترجاع خارجي يكشف فيه شوكت عن أصله المتواضع ،فقد كان لأب فلاح يعمل خولي عند أحد الأغنياء أمه كمريرة جلبت من استانبول كخادمة، ولم يرثا من هذا الزواج إلا لون البشرة البيضاء والشعر الأصفر الذي أوقع الدبلوماسي في حب أخته، وفي هذه المفارقة الزمنية بين الفقر والحاجة والتحول في ظل الانفتاح الذي يعطي المظهر لا الجوهر مكانة وصدارة في المجتمع فلا يعطى الناس قيمتهم عبر دورهم في زيادة الإنتاج والجهد المبذول، بل بمدى قدرتهم على التلون والزيف، وهو ما حدا به إلى الزواج من صفاء ابنة الطبقة الأرستقراطية ولم يجمعهما إلا شيء واحد هو كراهيتهم لحقبة الناصرية؛ كل حسب ما سلب منه من مزايا، وفي الوقت نفسه ترجع بنا صفاء طليقة شوكت إلى تمثيليتها للخلاص من شوكت وزواجها من صدقي، وهذا الخلاص لم يتم إلا عن طريق تمثيل الخيانة عليه بأن بينها وبين صدقي علاقة، ولما اكتشف

هذا لم يحرك ساكنا غير طلاقها؛ لخوفه على نفسه من السجن والضياع، مما يكشف عمق هذه الشخصية التي تعي ما يصلح لبقاء نفسها آمنة.

ومن المفارقات الزمانية في الرواية تلك المفارقة التي كان بطلها الانفتاح؛ فبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م حلم الناس بوطن قوي جديد، ينال كل إنسان نصيبه قدر اجتهاده واسهامه في تقدم وطنه، ولكن هذا كان بعيدا؛ إذ شاع التهريب وكثر اللصوص؛ وظهر ذلك في فساد المسئولين عن الحفاظ على مقدرات الوطن؛ كهذا الدبلوماسي الذي يعيش في إيطاليا، وتتجلى المفارقة في رواية لبنى التي شاهدت عنده حفنة من الجهلاء يشربون الخمر ويتباهون بقدراتهم في التهرب من الجمارك؛ مما يعكس دعم المسئولين عن الإصلاح للفسدة واللصوص، وفي المقابل خرج مجموعة من الناس للوقوف ضد غلاء المعيشة، والبحث عن حياتهم الكريمة التي كانوا يحلمون بها بعد الانتصار؛ فوصفهم النظام أنذاك باللصوص، وأطلق على انتفاضتهم انتفاضة الحراميه، وكان ذلك قبل ثورة الغذاء ١٨- ١٩ يناير ١٩٧٧م.

المفارقة المكانية

- الأحياء الشعبية والراقية: منطقة السيدة زينب- منطقة جاردن سيتي.

اختار الكاتب منطقة السيدة زينب بطلا معادلا لروايته؛ هذه الرواية التي تحمل الإطار الصوفي من بدايتها؛ فمن الطبيعي أن يكون للفضاء المكاني تأثير على الأحداث والشخصيات، وفي هذه البقعة تحديا دور بارز للأحداث التي طبعت بطابع البساطة والصدق وعبق التاريخ وبخاصة الديني، وتبدو المفارقة واضحة جدا في اختيار منطقة السيدة زينب في مقابل النقيض وهي منطقة جاردن سيتي سواء من حيث الاسم فهي حديقة المدينة، أو من حيث

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرقي والجمال الخارجي والحداثة، وتظهر الفجوة بين منطقة قديمة يعمرها الإيمان والحب والتراحم بين الجيران وبين الجد وحفيده، وعلى الجهة الأخرى تبدو المنطقة الراقية التي تسكنها الطبقة الباحثة عن متع الجسد ومطالبه عارضا لبعض مشكلاتها؛ كالتفكك الأسري، وغلبة المصالح الشخصية؛ بل إن هذه الطبقة مصدر من بين العديد من المصادر المعينة على تردي أحوال المجتمع وتراجع الأخلاق والقيم ونشر روح الانهزامية والأنانية وتقديم سلامة النفس على سلامة المجتمع.

وفي منطقة السيدة زينب مفتتح الأحداث في القسم الأول من الرواية يسري حديث الباشكاتب عن كرامات صديقه أبي خطوة إلى سالم المتطلع إلى معرفة الماضي، وفي جلسات السطح بينه وبين جده يحاول الجد تربية جيل جديد يخلف الجيل السابق، وبخاصة إظهار سالم في مظهر الرافض لعادات كثيرة في مجتمعه، وفي ظل هذه الظروف يقص الجد على حفيده كرامات صديقه التي سمع بها، ويضحك الحفيد مرة ومرة أخرى يعترض على بعضها مستخدما عقله في القبول والرفض.

في هذا المكان الذي يتمتع ببعد صوفي غلف الكاتب روايته، وأشاع فيها روح التصوف من توظيفه للرمز الصوفي أبي خطوة في حكايات الجد لحفيده، والباشكاتب نفسه الباحث عن نقطة النور جاعلا من التصوف هدف الإنسان من هذه الحياة، وما دون ذلك موتا وتخبطا وضياعا؛ ويعرض لفقر أهل منطقة السيدة زينب فقد قضى الانفتاح بما أحدثه من تضخم على كل ما يدخرونه من أموال؛ وفي المقابل سكان جاردن سيتي يرزح أهلها تحت الشهوات والحياة البعيدة كل البعد عما يسمو بالروح؛ لذا أصاب الخواء هذه النفوس وسيط الفراغ الروحي عليها رغم الثراء؛ فشوكت الطبيب رغم كل

ما لديه من مال وشهرة يتجه إلى الخمر ليتخلص من متاعبه ومشكلاته اليومية، ودكتوره صفاء تهتم بمظهرها دائما ولا شيء غير ذلك، ولبنى التي تحمل في نفسها أرضية خصبة للنقاء والصفاء تفشل في الحصول على الطمأنينة والحب، فهي تدرك فراغ هذه الطبقة، بل إن من مساوئ المكان أنه أسهم في ترك لبنى فريسة للاغتصاب الذي أوصلها إلى الاغتراب النفسي فلم تغنِ عنها كل أشكال الراحة ومظاهر البذخ شيئا، لتختار بإرادتها أحد شخصيات بيئة السيدة دون اعتراض على البيئة، فقد اختارت الحب لا سواه.

- شقة لبنى: قبل الحب وبعده:

تبسط الحالة النفسية للشخص رداءها على رؤيته للعالم، فإن كان سعيدا رأه موافقا له، وإن كان حزينا رأى الحزن في كل شيء من حوله، والأماكن لا تفرح ولا تحزن، وإن كان هناك من يرى غير ذلك موجود في الجمادات؛ فالجمادات تفرح وتحزن كالإنسان، ولكن من يستطيع قراءة هذا أو ذلك.

بعد أن عادت لبنى من لقائها الأول بسالم الذي غمرها فيه بالحب والعطف، رأت كل شيء جميلا، فتحت باب شقتها لترى ما كانت تراه كل يوم "وقفت لحظة تتطلع إلى تلك الأشياء وابتسمت لنفسها: ماذا كانت تنتظر؟ أن تدخل فتجد بدلا منها بستانا أثيرا تسبح فيه؟.تساءلت ولم لا؟ إن تغيرنا نحن فلماذا لا يتغير ما حولنا؟ ولماذا يظل العالم جامدا؟ لماذا لا يمكن أن نعديه بفرحتنا فيصبح أجمل وأرق"[١]، ورددت أكثر من مرة أنا سعيدة مخاطبة دادة

(١) نقطة النور ، ص ٨٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سنية النائمة، ومع تحول الأحداث يكشف السرد عن نقيض ذلك، فقد تبدلت حالة لبنى النفسية بعد عودتها من إيطاليا؛ لتجد المكان خاليا من الأحبة لا دادة سنية ولا عم حسن الطباخ "ذهبت إلى غرفتها هناك وجدت كل شيء في مكانه رأت سريرها ومكتبتها الصغيرة. لا. حتى هذه الأشياء ماتت في داخلها. هي لا تشتاق إلى شيء حقا"(١)، تحول المكان إلى ما يشبه العزلة، اختفت تلك الروح الجميلة وانطفأت جذوتها مع تحول نفسية الشخصية التي انتزعتها الغربة والعلاج في مصحة في إيطاليا من شعورها بالمكان؛ فصارت لا تحمل لهذا المكان حنينا رغم سنوات الغربة نتيجة فقد من تحب.

تأثير المكان لدى لبنى لم يقتصر على الشقة التي تراها من وضعيتين مختلفتين بل كل الأماكن التي أثرت في نفسها؛ فالجامعة والسجن والمصحة في إيطاليا؛ هذه الأماكن رأت فيها لبنى كل التناقض رأت في الجامعة مرتضى الانتهازي وسالم المحب، وفي السجن رأت القهر والظلم والمحاباة فلولا تدخل والدها مع رجال الشرطة الذين وعدوه بأن يكون السجن هذه المرة (قرصة ودن) لما رأت النور، والمصحة التي غيرت حالها فصارت لا تخشى الخوف بعد أن كان الخوف قرينها.

- غرفة الباشكاتب: تجسيد المكان

تحيط غرفة الباشكاتب هالة من الأمان والطمأنينة؛ فالرجل الذي يعيش في أفضل غرفة في بيت السيدة، يبعث مكانه الطمأنية لمن يطلبها، ويعبر سالم لجده في آخر الرواية عن دفء هذه الغرفة وما فيها من سكينة لا يجدها في أي مكان مقدما لجده علامة على صلاحه وتقواه، وأن المكان

(١) نقطة النور ، ص ٢٠٢.

يتأثر بساكنه، فإن كان صالحا اكتسى المكان بالأمن، فكيف لطفل صغير يذهب خصيصا باحثا عن الأمن في غرفة أيقن قدرتها على إعطائه ما يرغب، أبان ذلك في حوار بين سالم وجده؛ يقول سالم في ثنايا حديث عن أبي خطوة "ألم يقل يا جدي أنه يريد قلبا طاهرا يصحبه إلى مثواه الأخير... ولكني خاطئ! لم يزرني النور!. سكت سالم قليلا ثم قال: عندما كنت أخاف وأنا طفل صغير من عقاب أبي أو من المرض كنت آتي هنا إلى غرفتك، حتى ولو لم تكن أنت فيها فكنت أطمئن. كنت أعرف أنك تحبني وأنك ستساعدني"(١)، أسقط محبة الجد له على المكان؛ فأعطاه المكان ما كان سيعطيه الجد من الحفظ والرعاية والحماية.

المفارقة الدرامية

تتصل هذه التقنية بمعرفة القارئ أو المتلقي عن أحداث العمل وخبايا الشخصيات أكثر مما تعرفه الشخصيات داخل العمل عن بعضها، وهي آلية أكثر وجودا في العمل المسرحي ثم انتقلت إلى الأعمال القصصية، ومما يعزز المفارقة معرفة المتلقي مسبقا بالأحداث وما ستؤول إليه نهاياتها، وتعتمد على اكتشافه للتناقض في أحوال الشخصيات، وتتخذ المفارقة الدرامية من البناء الروائي مصدرا لها فلا تعتمد على المفردات والتراكيب كغيرها من أنواع المفارقة.

أخفى الكاتب موعد الخميس عن القارئ في أول الرواية تشويقا، وبسط ذلك في منتصف الرواية، وهو موعد تبين أن الباشكاتب يلقى فيه زوجه نازلي هانم التي تزوجها عرفيا مع خروجه إلى المعاش، وأخفى ذلك

(١) نقطة النور ، ص ٢٢٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عن أسرته وجيرانه "في يوم الخميس وحده من كل أسبوع تنقطع الجلسات –مع حفيده سالم– إذ يخرج الباشكاتب قبل الظهر ويرجع متأخرا في الليل. يرتدي في الغالب جاكته واسعة قديمة من الكتان الأبيض، لكنها نظيفة ومكوية باستمرار ويضع فوقها في الشتاء فقط عباءة من الصوف البني. ولم يكن أحد في الأسرة يعرف أين يذهب"(١) واستمر هذا السر حتى بعد طلاقهما، فقد استمر الزواج ما يقرب من خمسة عشر عاما، وفي الصفحة (مائة وإحدى وعشرين) يسرد الكاتب طريقة زواجهما وشروطه وسبب اختيار الزواج العرفي، وما انتهيا إليه بأن أصبح هذا اللقاء الأسبوعي الواحد يوم الخميس وحرصهما عليه.

تقدم فراج للزواج من فوزية ولم يقبل به غير الباشكاتب وفوزية، ورفضه شعبان وسالم رفضا قاطعا، لكن سرا ما بين فراج وفوزية عرفه الباشكاتب لذلك كان متساهلا غاية التساهل في قبول فراج والموافقة عليه، لم يذكر الكاتب هذا السر وعلاقتهما الخاصة إلا بعد أن تراكمت الهموم على فوزية وزادت المشكلات بينها وبين فراج بسبب ضيق الحال؛ فعادت تذكر علاقتها الأولى بفراج وما بينهما من حب، وأنهما كانا يتواعدان خارج السيدة زينب، ولكن ذات مرة أثناء زيارتها لإحدى صديقاتها في البيت الذي يسكن فيه فراج، وبعد لقائها بصديقتها وجدت فراج خارج شقته؛ فاقتادها إلى الداخل، تذكرت هذه اللحظات في ظل تراكم الهموم والمشكلات بينهما، ورأت أن سبب هذه المشكلات أنه أخذها رخيصة دون عناء منه، فراحت تلوم نفسها، وقد عرف القارئ أكثر مما تعرفه الشخصيات خاصة في إجمال الكاتب هذا الأمر عند الحديث عنه أول مرة ثم فصّله في موضع متقدم.

---

(١) نقطة النور ، ص ١١.

ذكر الكاتب طلاق الدكتور شوكت والد لبنى من الدتها الدكتوره صفاء ومشكلاتهم الكثيرة نظرا لتنافر طباع الشخصيتين؛ فهما شخصيتان مركبتان صفاء أرستقراطية طبيبة لا تهتم بشيء في الحياة سوى نفسها وجمالها، جذبتها شخصية شوكت التي ظنت أنها شخصية واثقة من نفسها؛ لكن على النقيض وجدت شخصية قادمة من أعماق الفقر إلى أعالي الغنى، وهذه الثقة ليست ثقة بل غرور أعمى بما حققه، دخل معترك السياسة ولم ينجح فيه؛ فنقم على من فيه، بالإضافة إلى عجزه الجنسي وهو يستتبع عجزا أخلاقيا ونفسيا، ذكر الكاتب مشكلات الشخصيتين وشجارهما المستمر، كما ذكر قصة طلاقهما، وكأن هناك علاقة بين صدقي وصفاء هي التي دعت شوكت إلى الطلاق، ولكن تبين من الأحداث اتفاق صفاء وصدقي على تمثيلية بمقتضاها يرى شوكت بنفسه هذه الخيانة، وربما كان ذلك من صفاء للتشفي من شوكت والتأكيد على عجزه وإذلاله مع أن الأحداث كشفت عن الاتفاق بين صفاء وصدقي وأن الأمر كان مجرد تمثيلية، ثم تزوجت صفاء من صدقي، والقارئ يعرف هذه التفاصيل مع جهل كثير من شخصيات الرواية بها.

مع تطور البناء الدرامي وتطور العلاقة بين لبنى وسالم حتى وصلت إلى ما كانت تخشاه لبنى من مواقعة سالم لها في شقة والدها، أعادت إليها الذكريات التي كانت قد أوشكت على الخلاص منها، وبعد تلك الواقعة قبضت الشرطة في الصباح على لبنى لحيازتها منشورات ضد نظام السادات واعتقلت على إثرها، وفي تلك الأثناء بحث سالم عنها في كل مكان للاعتذار لها ولإصلاح ما بينهما فلم يجدها، توجه إلى أبيها الذي سخر منه ومن حبه لها، ثم أصيب سالم بالهذيان والاضطراب النفسي فأسف جده الباشكاتب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لحاله؛ فذهب إلى عيادة الدكتور شوكت ليسأل عن لبنى، ويحاول علاج حفيده مما فيه من اضطرابات، ولكن الدكتور شوكت لم يستجب بل عامل الباشكاتب معاملة سيئة ودار بينهما حوار ظهر فيه معدن شوكت المغرور، كما ظهرت فيه حكمة الباشكاتب وخبرته، ولكن في هذه اللحظات كانت لبنى في طريقها إلى إيطاليا لدراسة القانون، وليتخلص أبوها من مشكلاتها سواء مشكلة السياسة أو مشكلة الحب التي ظهرت له، وفي ظل هذا البناء الدرامي تجهل الشخصيات ما يدور من أحداث في الوقت الذي يحيط القارى بخيوط كل الأحداث، ويعرف من أحداثها فوق ما تعرفه شخصياتها.

المفارقة والجمع بين المتنافرات

المفارقات في هذه الرواية كثيرة ومتنوعة، فقد تعرض كاتبها لكثير من أمراض المجتمع محاولا إبراز مواضع التناقض فيما حقه أن يكون متوافقا معتدلا؛ كالمفارقة بين موقف الطبيبين النفسيين في علاج سالم من الهذيان في بداية الرواية، ثم انتصار طب الأعشاب (مرعي العطار) في علاجه في آخر الرواية؛ فالطبيب الأول: نموذج للطبيب الذي يسمع كثيرا ويشخص الحالة بعد ترو دون أن يكلف صاحبها أعباء لا قيمة لها، فقد وصف حال سالم بالطبيعية وأنه سيتعافى، حدث ذلك في موجة الهذيان الأولى التي سب فيها أهله ولما هدأ لم يتذكر شيئا مما قال. أما الطبيب الثاني فقد كلف شعبان بأعباء مادية كثيرة؛ كعمل رسم مخ وتحاليل وغيرها وأعطاء روشتة دواء كبيرة، ولم تفد كل هذه الأمور في تحسن حالته، فقد تخلص جده من الأدوية والعقاقير بعد أن رأى تدهور حالته.

وفي المرة الثانية بعد ما حدث مع لبنى عادت إليه تلك الحالة بقوة مع تطور فيها، مما جعل أبوه يقتاده إلى الطبيب مرة أخرى، فزاد في العلاج والجلسات الكهربائية عن المرة الأولى، ولم تستقر حالة سالم حتى ذهب الجد بناء على نصيحة حفيدته التي كانت تعطي أخاها الينسون بدلا من العقاقير، ولم تجد اختلافا يذكر في تطور الحالة، فقصد الباشكاتب العطار مرعي مستعينا به في علاج حفيده؛ فسأله مرعي عن تفاصيل حالة سالم، ثم أعد له وصفات من الأعشاب يداوم عليها، وظل يبدل ويغير في الأعشاب بناء على تطور الحالة حتى شفي سالم تماما.

يعرض الكاتب لمرض من أمراض المجتمع الذي تسيطر عليه المادية وكسب المال من أي سبيل دون رحمة أو شفقة، ويضيف إلى أمراض المجتمع مرضا آخر يعرض فيه للصراع الدائر بين شركات الأدوية والطب بالأعشاب، ويترك الحكم للقارئ، بل يرسل رسالة مفادها دعمه لهذا الطب الذي برع فيه المصريون القدماء وتحاربه شركات الأدوية، وكان منصفا في عرض نموذجين للأطباء، وبخاصة في تعاملهما مع حالة واحدة لينصف أهل هذه المهنة.

وما يلفت النظر كثرة الأطباء في الرواية وعلى النقيض كثرة العلل والأمراض، فأمراض المجتمع كثيرة أو كثرت بعد الانفتاح؛ فشوكت طبيب وصفاء طبيبة وتجمع الأطباء في باب اللوق، وابن نازلي زوجة الباشكاتب الثانية طبيب بالإضافة إلى طبيب الباشكاتب الذي كان يعالجه، وكذلك ذكر كلية الحقوق هي كلية سالم ولبنى اختارها الكاتب لبطلي الرواية، والمحكمة فيها عمل الباشكاتب وصديقه أبو خطوة، وذكر القضاة ووكلاء النيابة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ورجال الشرطة والدبلوماسيين والمجتمع يئن تحت أمراض كثيرة من الظلم الاجتماعي في تلك الفترة.

كما عرض الكاتب لموقف المرأة في مفارقة بارزة بين موقف سمية ونازلي زوجتا الباشكاتب من حيث (نوعية الزواج واختيار الزوجة ونوعية العلاقة والبيئة)؛ ففي زواجه من سمية كانت الزوجة المكملة لزوجها الساعية على راحته سكنا ومودة ورحمة، وعلى النقيض زواجه من نازلي الذي لا يعد زواجا، وإن كان كذلك فلم يكن بينهما غير ممارسة العشق ولا علاقة تربطهما غيره.

واختار الكاتب اسم سمية لزوجة الباشكاتب الأولى لما فيها من السمو في كل مناحيها، واختار للثانية نازلي وفقا لطبقتها العالية والثرية التي لا تعرف غير إرضاء ملذاتها، واختار موضع سكنها في جاردن ستي لتضاف إلى طبقة شوكت وصفاء ومن على شاكتهم في نقد صارخ وعميق لهذه الطبقة التي مقتها الكاتب ولم يرض عنها ولا عن أفعالها.

لم يقف الأمر على المفارقة بين شخصيات متناقضة في العمل الروائي؛ فقد ظهرت المفارقة بين أحوال الشخصية نفسها داخليا وخارجيا؛ فشخصية سالم ولبنى والباشكاتب أبطال العمل يعيشون في صراعات داخلية تخفي ما يظهر على السطح من اطمئنان خارجي؛ فسالم الذي كان دائم الصمت حتى لقبه جده بعبادة بن الصامت يخرج عن صمته في موجة الهذيان الأولى ليسب أهله بأقذع الشتائم الجنسية مما أدهش الجميع أين كان كل هذا؟، ولبنى الوادعة الهادئة التي أعجب بها سالم تموج في بحار من الخوف الشديد من كل شيء وتخفي داخلها أسرارا كثيرة، وتملأ نفسها الصراعات والاغتراب النفسي، وبخاصة بعد حادثة المدرس الذي أفقدها عذريتها مبكرا،

والباشكاتب الذي يعاني الصراع الداخلي، فهو يخفي عن أسرته زواجه بنازلي هانم، ويظل هذا الأمر موضع نقمة منه على نفسه حتى يتخلص من هذا الذنب بطلاق نازلي، وشعبان الذي يؤدي الصلوات في أوقاتها ويلقي بنفسه في دكان الأقمشة ليل نهار، وقد ماتت زوجه سعاد صغيرة ولم يتزوج بعدها لزهده في النساء رغم كل هذه الصفات التي قد تبدو جميلة نجده خلاف ذلك وهو يؤنب ابنه للعبه مع أولاد الجيران؛ لأنهم ليسوا من مستواه، ورفضه فراج زوج فوزية لظروفه المادية دون النظر إلى شيء آخر، وتأجيره جانبا من محله لتاجر السجائر المهربة، واستقدامه شخصا يفهم في الحسابات ليضبط له حسابات المحل ليتهرب من الضرائب، وعدم حرصه على الجيران عن طلب الحي إزالة البيت واهتم بنفسه، حتى علاجه ابنه في مرضه كان من قبيل عمل الواجب لا غير، ومرتضى طالب الجامعة الذي يمارس السياسة ويقود زملاءه للثورة، ويظهر بمظهر المدافع عن الطبقات الكادحة، ويحفظ عددا من الجمل الرنانة، تكتشف لبنى أمره حيث تراه يتذلل إلى أستاذ بالجامعة ويقف أمامه منكمشا، وكان قبل ذلك يسبه أمام الطلاب ويرميه بأسوأ الأوصاف، مفارقة لم تترك أبطال العمل ولا الشخصيات الثانوية في محاولة من الكاتب لاستثمار خطابه الروائي في الكشف عن أعماق المشكلات وكشف الشخصيات أمام أنفسهم وكشف الداخل والخارج منها، ليسهل الحل والعلاج، وساعده وجود هذه الشخصيات بكثرة على إقناع القارئ بواقعية الرواية ووعي الكاتب بأمراض مجتمعه وحرصه على المشاركة في فضحها وعلاجها دون مباشرة؛ لأن هدف جيل الستينات والسبعينات هو "البعد عن الخطابة السياسية المباشرة، والميل إلى تقديم الموقف الاجتماعى أو السياسى، ضمن سياق تشكيل فنى، ونحا إلى التعبير

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عن القضايا عن طريق اللمسات البسيطة التى يمكن أن تختصر عالماً كاملا بشكل مكثف.. لذا رأينا الكاتب يوسع مناطق الجمال ويحرك فى وعى أشكال التمرد الشعبى، ويستنهض أبطاله الشعبيين، و يتحفنا بالنوادر والنزعات الحسية، وتسللت إلى الحكايات سخونة الواقع فى كثافته وزخمه، لقد أدرك هؤلاء الكتاب أن شكل المعركة قد تغير، وأن عليهم أن يبتدعوا أشكالهم المعبرة عن رفضهم لهذا الغزو الذى أخذ شكل المهادنة"[١].

رابعا:الإطار الصوفي والنقد التكويني

غلبت النزعة الصوفية على بناء الرواية، وأقر الكاتب في نهاية الرواية عبر تنويه ألحقه بها؛ يقول فيه إنه رجع أثناء كتابة هذه الرواية إلى بعض الدراسات والكتب الصوفية؛ يقول: "وأخص بالذكر –بين كتب أخرى– "المواقف والمخاطبات للنفري" وكتاب "الكنز في المسائل الصوفية" للأستاذ صلاح التجاني"[٢]، وكان من قبل قد أهدى الرواية إلى الأديب يحيى حقي؛ يقول في الإهداء: "في ذكرى مولد الكاتب والإنسان الكبير يحيى حقي...رحمه الله أتنسم عطر الأحباب!"[٣] ورواية قنديل أم هاشم ليحيى حقي ذائعة الصيت وذات تأثير كبير في اختيار الأحداث في هذا المكان، كما أن في التأثر بهذا الكاتب تلميحا بما ذكره في روايته قنديل أم هاشم من معالجته لبعض قضايا الجهل والخرافة في مجتمعه؛ ومن هنا يكون الكاتب قد تأثر باختياره ميدان السيدة زينب بطلا لروايته التي تحمل عبق التصوف

(١) سوسيولوجيا الرواية السياسية، صالح سلميان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٨١.

(٢) نقطة النور، ص ٢٣٨.

(٣) السابق، ص٥.

وتمثل مقصدا للباحثين عن سمو الروح عند مريدي التصوف، ثم إنه اطلع على كتب التصوف ونوه على ذلك ذاكرا أعمقها وأشهرها عند المتصوفة، في الوقت الذي كان يتناول فيه أحداث الأمة المصرية في حقبة مهمة من تاريخها ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وما حدث للمجتمع من تغيرات متسارعة بدت واضحة عند النظر والمقارنة قبل الحرب وبعدها، تغيرات لم تكن متوقعة بل كان المتوقع خلاف هذا الواقع.

وبذلك فهناك اتصال مهم بين تكوين الرواية والاطلاع على الأعمال المماثلة في المكان نفسه، وكذلك اختيار الإطار الصوفي ثم الاطلاع على كتب متخصصة في هذا المجال لزيادة العمق في العمل الأدبي، مما جعل هناك اتصالا وثيقا بين اختيار الإطار الصوفي والنقد التكويني للعمل، والذي "ينطلق من مقولة تعبر عن أمر واقع مفادها أن النص النهائي لعمل أدبي ما، هو مع بعض الاستثناءات النادرة جدا محصلة عمل؛ أي إنشاء تدريجي وتحول يظهر في فترة زمنية منتجة كرسها المؤلف لكي يبحث مثلا عن الوثائق أو المعلومات وتحضير نصه... ويتخذ النقد التكويني موضوعه من هذا البعد الزمني للنص في حالة تولده"(١).

وهذا يعني أن العمل الأدبي بعد إنتاجه يظل مرتبطا ببواعث تكوينه، ولعل ما لفت نظر البحث إلى هذه النظرية النقدية التي تعنى بالوثائق الخطية للمؤلف ومراحل إنتاج العمل الأدبي منذ البدائية أو ما قبلها كمرحلة الاستكشاف وصولا إلى مرحلة الطباعة إلا أن البحث يرى ضرورة قراءة هذه النظرية النقدية من خلال ما يبوح به الكاتب في الإهداء والتنويه الذي

(١) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تأليف مجموعة من الكتاب، ترجمة: د. رضوان ظاظا، مراجعة: د. المنصف الشنوفي، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٧٩م، ص ١٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تركه في آخر العمل من مصادر استقى منها الإطار الصوفي لروايته، وكانت دافعا إلى تكوين هذا العمل، وما اعتمد عليه الكاتب من نصوص وكتب صوفية ساعدته على حبك روايته، وعلاقة هذه النصوص الصوفية بالمرحلة السياسية الخانقة من حقبة السبعينيات.

قسم الكاتب الرواية إلى ثلاثة أقسام كما هي بارزة سالم ولبنى والباشكاتب، وجعل تقسيما آخر يلمس من خلال الوقوف على الأحداث وأفعال الشخصيات، وهو التقسيم الثلاثي: الجسم والنفس والروح، ويطالعنا الكاتب في الصفحة الحادية عشرة بالإشارة إلى أحداث خروج الباشكاتب الذي كان في غالب الأحيان إلى حلقات الذكر، ثم ذكر لنا بعد ذلك أنه كان في يوم الاحتفال بالمولد النبوي يحتفل به فوق سطح بيته، ويستضيف المنشدين لترتيل بردة الإمام البوصيري.

وفي الفصل الثاني أو رقم (٢) من القسم الأول يتحدث الباشكاتب إلى حفيده عن كرامات الشيخ السنانيري صديقه أبي خطوة بعد تعينه في محكمة أسيوط في العشرينيات من القرن العشرين، وذكر الكرامة التي أعطته لقب أبي خطوة.

دار حوار بين الباشكاتب وصديقه أبي خطوة حول الندم؛ فبعد أن اعترف الباشكاتب لصديقه بأنه ليس أهلا لصحبة الأتقياء؛ لأنه كان مدللا ولم يبخل على نفسه بأية لذة من الملذات "استمع أبو خطوة إلى اعترافاته في هدوء كأنه قد سمع هذا الكلام من قبل، وقال: ولكنك تندم على ما تفعل يا توفيق أفندي، أليس كذلك؟ فرد في أسف: بلى أندم ثم أعود كما كنت. –

الندم باب الحياء والحياء باب التوبة"[١] ثم يشرح له كيف يكون الأمر بين التوبة والعودة إلى الذنب مع الإصرار من التائب على الصلاح؛ فهو كالمحب المعذب الذي عذبه الحب ثم فاز به لا يفرط فيه، ويختم الحوار وهو يحث الباشكاتب على عدم العجلة قائلا: "سيأتي الوقت، ولكن تعلم يا ولدي ألا تطلب من الوقت إلا ما يأذن به ربك ورب الوقت"[٢].

أبان الحوار بينهما مع توقف السرد بداية مرحلة التصوف عند الباشكاتب، وكيف يكون المتصوف الحق في وصف الكاتب لأبي خطوة، فخفة ظله ومداعبته لأصدقائه ومع كل هذا تحيط به هيبة خاصة، وتنطلق الرواية بعد هذا الاسترجاع الحواري في سرد أحداثها، ثم تلا هذا الحوار بسنوات زواج الباشكاتب من سمية وبالفعل أنقذه الحب كثيرا، وأن الحياة بعد زواجه لم تكن كما قبلها.

وهنا يمكن أن نثير سؤلا هل توظيف النزعة الصوفية توجه الكاتب أم حل لمشكلات أم هروب؟

وظف الكاتب النزعة الصوفية في عمله ليبث من خلالها همومه وأحزانه ويقدم فيها لأمر مهم؛ وهو ظمأ الروح عند هؤلاء الذين يقفون ضد وطنه، هؤلاء الذين لا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية، ولا تكبر هذه المصالح إلا بتضاؤل قيمة الوطن في نفوسهم، وهذا العمل لم يكن نهجا ومنهجا للكاتب اتسم به في روايات سابقة؛ بل إنه توجه جديد في هذه الرواية يناسب إبراز التناقض بين الأرواح التي تبحث عن السلام والحب، وأخرى لا

(١) نقطة النور، ص ١٦.
(٢) السابق، ص١٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تبحث إلا عن مصالحها ولا يمثل لها الحب شيئا؛ بل هي حتى لا تعرفه وهم كالأنعام بل هم أضل، مقدما لنماذج نازلي هانم زوجة الباشكاتب الثانية التي تزوجها عرفيا وهي من طبقة أرستقراطية، وشوكت والد لبنى الطبيب المشهور صاحب المستشفى الاستثماري، والدبلوماسي الذي عمل ممثلا لبلاده في إيطاليا وهو يجمع في بيته المهربين واللصوص والجهلة يتبارون ويتباهون بقدراتهم في تهريب البضائع والممنوعات؛ ليشارك كل هؤلاء في تدمير الوطن، ويضيع على البلاد المصالح وملايين الجنيهات؛ التي تدخل جيوبهم بدلا من خزنية الدولة؛ مما أدى إلى زيادة الفقر والغلاء والتضخم.

فلعل اختيار الكاتب لحل مشكلات المجتمع في تلك الفترة وجد له في عباءة التصوف أداة من أدوات حسن توصيل الفكرة، وصياغتها في قالب يحبه المتلقي؛ لأن المتلقين على اختلاف مشاربهم يميلون إلى الأمور الغيبية ويقبلون كرامات التصوف وحكاياته ذات الطابع الخيالي، فمزج بين قصص التصوف وبحث المتصوف عن إدراك النور في تعريض بهؤلاء الذين يسرقون الوطن ولا يهتمون بالبحث عن حل لمشكلاته.

استقى الكاتب معلوماته الصوفية عن طريق عدة كتب منها من نوه عن الإفادة منها وذكر كتابي: المواقف والمخاطبات للنفري، والكنز في المسائل الصوفية للأستاذ صلاح الدين التجاني، وكتب أخرى لم ينوه إلى استفادته منها، وإن كان البحث لم يجد كثيرا من المقولات التي نقلها عن الكتب السابقة إلا ما نقل عن طريق المعنى، وبدا اطلاع الكاتب على نصوص الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، كما نقل نصوصا من كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني، بالإضافة إلى اطلاعه على نص البردة للإمام البوصيري، وديوان الإمام الشافعي.

كما تبين الدراسة اطلاع الكاتب على مسرحية عطيل لشكسبير، واطلاعه على الثقافة العالمية من خلال ذكر شخصيات مشهورة فازت بجائزة نوبل كالدكتور شفاتيزر، والنحات والمصور العالمي جياكوميتي، وذكر شخصيات تراثية كالصحابي الجليل عبادة بن الصامت الخزرجي، واطلاعه على السينما المصرية من خلال شخصية حمام في فيلم غزل البنات التي جسدها الفنان نجيب الريحاني، كل هذا التتبع أسهم في بناء تصور للنقد التكويني في العمل.

خامسا:البناء السردي والمراوغة السياسية

اتكأ الكاتب في عرضه لأمراض مجتمعه على تخيره لعدة أمور كونت بلاغة النص الروائي، وكان لها دور في محاجة القارئ وإقناعه بتلك التغيرات التي شهدها المجتمع بعد حرب أكتوبر١٩٧٣م، وقد أظهر عدم تعرض الكاتب للنصر مثالا واضحا على تكثيف السرد تجاه قضايا محدده، فلم يحدثنا عن هذه الحرب، ولم يشر إليها من قريب أو بعيد سوى إشارة عابرة في حديث فراج عند اجتماعه بأسرة الباشكاتب لطلب الزواج من فوزية، وكانت عن إعفائه من التجنيد وأنه كان يود لو نال شرف المشاركة، وبذلك يكون قد أخفى الكاتب حسنات الحرب فلم يقم بتحديد هذه الحسنات؛ ربما لأنه يريد من كل قارئ أن يستحضر هذه الصورة الذهنية للبسالة والوطنية لأولئك المحاربين، وما قدموه من تضحيات ، فلم يضيق واسعا لمزايا الحرب بل عمد إلى الحديث عما يتنظره المنتصر من جمع الغنائم إلا أنه لم يجد ما يجمعه جراء الفساد الإداري وسيطرة المصلحة الخاصة على العامة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أوهمنا الكاتب برفض السياسة ومقتها من جانب الباشكاتب وحفيده سالم في أول الرواية، وبخاصة عندما عرض لدخول سالم الجامعة ورأى مجلات الحائط التي تهاجم السادات وأخرى معه، فبدا الكلام كالألغاز؛ لأنه لم يذكر أنه سمع من جده أمرا آخر غير التصوف "فهز رأسه وهو يهم بالانصراف، تذكر تحذيرات جده الصارمة، السياسة مستنقع لا شأن لنا به، من يخوض فيه يضيع، لم يهتم الباشكاتب أبدا بالسياسة واعتاد أن يغلق الراديو أو التليفزيون عندما تبدأ نشرة الأخبار .. فورث حفيده النفور من السياسة"[(١)] كما أنه لم يتطرق إليها في أحاديث الباشكاتب وصديقه أبي خطوة، وعندما تعرض للجامعة عرض للطلاب الفقراء المشاركين في السياسة، كما عرض لموقف لبنى المشاركة في المظاهرات دون هدف.

وأبان موقف شوكت القديم والحديث ومشاركته في شبابه في مظاهرات ضد عبد الناصر ثم انصرافه عن المشاركة بعد أن سجن وسخريته من المتظاهرين، وبخاصة بعد أن أفاد من النظام الجديد، وبدا التناقض واضحا بين موقفه وموقف ابنته؛ فرافضو نظام السادات يبكون نظام عبد الناصر والعكس.

ومن بلاغة الاختيار أن يعرض الكاتب لموقف الدبلوماسي-زوج عمة لبنى- في إيطاليا، بأن يقدم نقدا حادا لمشاركة طائفة من المسئولين المنوط بهم إكمال الانتصار بانتصارات أخرى اقتصادية واجتماعية منتظرة بعد الحرب؛ لكن هؤلاء أنفسهم يقفون حائلا دون جني ثمار الانتصار ومشاركتهم المجرمين واللصوص سرقة الوطن ومقدراته.

---

(١) نقطة النور، ص ٧٥.

وفي الوقت الذي رفض فيه السياسة جملة وتفصيلا على لسان أبطال العمل؛ الباشكاتب وسالم، قدم الشخصية الثالثة لبنى مشاركة في معتركها دون هدف؛ فالمشاركون في المظاهرات يشاركون لتحسين أحوالهم، وهي في غنى عن هذه المتاعب؛ لأن والدها الطبيب صاحب المستشفى الاستثماري يشارك في أرباح الانحراف السياسي.

وبدت المراوغة في رفض المشاركة السياسية من بعض شخصيات العمل ثم الحديث بدقة عن تفاصيل سياسية مهمة في تاريخ مصر موجها النقد اللاذع للمشهد السياسي في خطاب ناقش فيه التطورت الاجتماعية والاقتصادية المتردية معرضا بسوء الوضع السياسي، ثم عرض تفاصيل سياسية مهمة في مواضع كثيرة من العمل الروائي؛ منها:

فراج من الأمل في المستقبل إلى المجهول

تقدم فراج الذي تخرج في كلية التجارة، ويعمل في شركة قطاع عام للمعادن في حلوان للزواج من فوزية، ودار حوار بينه وبين أسرتها أبان الحوار استشراف المستقبل لدى شباب هذا الجيل الذي شاهد الانتصار وتحمس لبناء الوطن، بدأ الكاتب عرض الآمال في تغير سياسي ونمو اقتصادي؛ ويمكننا أن نقسم مراحل تطور أحوال المجتمع من خلال مراحل تأثير السياسات الخاطئة على فراج/الرمز إلى أربعة مراحل؛ المرحلة الأولى مع بداية الرواية في الصفحة الثامنة والعشرين؛ يقول على لسان فراج: "لأننا انتصرنا في حرب أكتوبر بحمد الله ستلتفت الحكومة أكثر إلى الاقتصاد وستركز على الصناعة بالذات، ولو فرجها ربنا بهذه البعثة إلى ألمانيا قريبا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فسأتمكن من ادخار مبلغ للمهر والشبكة"[١]، يتضح فيها إقبال فراج على الحياة وكله طموح وفخر بالانتصار ونتائجه، وفي المرحلة الثانية: يبدو أن ما كان ينتظره فراج لم يحدث ولن يحدث؛ تقول فوزية عن زوجها فراج بعد أن كثر بينهما الشجار خلال فترة قصيرة جدا من زواجهما، منذ أن أعلن عن أحلامه في مستقبل أفضل: "فراج لم يصبح سيئا لكنه يرهق نفسه في الشغل أكثر من اللازم وكل الأشياء التي توقعها لم تحدث: لا البعثة ولا المكافآت التشجيعية ولا الوقت الذي يسمح له بالدراسات العليا التي حلم بها. والمرتب الذي كان يكفي تماما قبل سنتين أصبح الآن يتبخر قبل آخر الشهر بكثير"[٢]، وبدأ الكاتب في التعبير عن السياسات الخاطئة على لسان فراج عن المرحلة الثالثة كاشفا لعيوب الانفتاح وشيوع المحسوبية والرشوة والمجاملات التي لا تبني وطنا، "وإن من يحصلون على المكافآت والعلاوات هم محاسيب رئيس مجلس الإدارة الذين يعطلون الإنتاج لأنهم لا يفعلون شيئا للشركة ويقومون بأعمال خارجها... وأن هؤلاء الموظفين يدبرون أمورهم، يدفعون "المعلوم" ويقدمون الهدايا للرؤساء ليسمحوا لهم بالتفرغ لأعمالهم الخارجية ولإرسالهم أيضا في إعارة للبلاد العربية"[٣]، وفي المرحلة الرابعة (الأخيرة) عرض الكاتب لما آلت إليه هذه الكوادر التي كانت يوما تؤمن بالانتصار ونتائجه، والحلم بوطن قوي يخلو من عيوب ما قبل أكتوبر ليستيقظ الناس على مشكلات كبيرة خلفها الانفتاح غير المدروس، من تضخم اقتصادي قضى على الطبقة المتوسطة، وقدم للمجتمع

(١) نقطة النور، ص٢٨.
(٢) السابق، ص٩٩.
(٣) السابق، ص ١٧٩.

طبقات جديدة لم يكن يعرفها عاثت في الأرض فسادا وتهريبا وسرقة لمقدرات الوطن دون حق، بل أدى ذلك إلى ظهور الجماعات وانضمام الشباب إليها علهم يجدون في الالتحاق بها تنفيسا عن معاناتها من الظلم السياسي والاجتماعي، وهذا ما عرضه الكاتب عن التحول الذي لحق بفراج والتحاقه بهذه الجماعات؛ وفي آخر الرواية يقول الباشكاتب: "يحسن بك أيضا يا فوزية أن تغطي شعرك. رأيته في الطريق قبل أيام وقد أطلق لحيته. ربما لا يجب الآن أن تكشفي شعرك...-قالت فوزية: ولكن غريبة حكاية أنه ربى ذقنه!"(١)، هذا التطور المتسارع في قناعات فراج لما رآه من تغيرات المجتمع من حوله، وقد عرض الكاتب لشخصية فراج الموظف ابن الطبقة الكادحة، وأسقط عليه كل هموم هذه الطبقة متخذا منه رمزا لبث أفكاره ومناقشة المتلقي عبر خطاب روائي يقيِّم هذه الحقبة التاريخية.

الباشكاتب وحقبة الانفتاح

كشف حوار بين الباشكاتب وحفيدته فوزية عن تحولات المجتمع من عصر الباشكاتب وعصر الكتابة وتقدير العلم والمعرفة إلى عصر جديد ترفع ابنها نحو جدها "وتسأل ألا يبدو ذكيا يا جدي؟ ألا ينفع (باشكاتب)؟. فيرد جدها مبتسما: (الباشكتبة) راحت عليهم يا فوزية! حتى لقبهم لم يعد له الآن وجود، تمني بدلا من ذلك أن يصبح ابنك ضابطا!"(٢) في إشارة لانقراض قيم وظهور قيم جديدة، واختلاف نظرة المجتمع والناس وتقديرهم للمهن أيضا لاختلاف طبقات المجتمع، وتركيز هذه الحقبة على الجانب الأمني؛ مما أدى إلى ظهور طبقات جديد غير القديمة.

(١) نقطة النور ، ص ١٨٨.
(٢) السابق، ص ٦٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وصور حوار الباشكاتب مع جابر جرسون القهوة عن حال زبائنه، وهو حوار عن حال المجتمع الذي تغير بعد الحرب والانفتاح من قلب الواقع وأحوال الناس اليومية؛ يقول جابر"الزبائن القدامى اختفوا، يأتيني الآن في المساء شباب وعواجيز لا يتحدثون إلا عن السفر إلى بيروت وتمرير البضاعة من الجمرك وتغيير الدولارات، حتى زبائن زمان المحترمون مثل حضرتك بعضهم الآن يا أستاذ يشتغلون تجار شنطة..."(١)، ومن خلال هذا المشهد الدرامي كشف الكاتب عن تطور المجتمع وقدمه للقارئ من خلال جرسون المقهي الذي يقابل كل الطبقات؛ بل إن المقهي أصبح عنده رمزا للتعبير عن المجتمع الكبير وما يدور فيه هو نموذج مصغر للحياة في البلاد.

وربط التخبط السياسي بالاغتراب لدى شخصيات العمل التي تنتظر نجاحا كنجاح الحرب؛ فسادت حالة من الاغتراب النفسي الذي بدا على شخصياته؛ وبخاصة تلك التي تقطن في الأحياء الشعبية وهم السواد الأعظم من الطبقات الكادحة الصادقة في محبتها لوطنها وانتظارها الوعود البراقة من السلطة، فظهرت "حالات عدم التكيف النفسى التى تعانيها الشخصية: كعدم الثقة بالنفس، والقلق المستمر، والإرهاب الاجتماعى والمخاوف المرضية غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلى فى الشخصية.

وحالة ديمومة العقد النفسية التى تعترى الشخصية: عقدة أوديب، عقدة الخصاء، عقدة النقص، عقدة الاضطهاد، ضعف أحاسيس الشعور بالهوية؛ مثل: الشعور بالانتماء والشعور بالجهد المركزى، والشعور بالحب، والثقة

(١) نقطة النور ، ص ٥٥.

بالنفس، والشعور بالقيمة، وغياب الإحساس بالأمن"[١]، وهذه كلها ظهرت مع شخصيات العمل كل على حده وكل حسب عقدته؛ فبدا على لبنى الفشل في كل علاقاتها، وكذلك في حال سالم؛ لأن "إحساسه بالحياة معدوم، أما الحب فهو بشكل أو بآخر، إحساس بالحياة والخصب والبناء والمشاركة وهذا مفقود لدى البطل، فطبيعى أن تفشل كل علاقاته لعدم تحقيقه هذه المعادلة، ما بين الإحساس بالخواء والموت والإحساس بالحب والحياة"[٢].

سادسا: فاعلية الاقتباس بين تقوية الحجة وضرب المثل

تعد ظاهرة الاقتباس ظاهرة مهمة في نقد العمل الروائي ومعرفة تأثر خطاب الكاتب بالفنون والنصوص المخزونة في ذاكرته، وكيف أنه وجد الجو مناسبا لبث هذا المخزون ومعرفته بقيمته وضرورة عرضه في موضعه، وهذه الظاهرة مهمة في تقوية المعنى وخدمة الأحداث؛ لتقُل بإيجاز ما يود الكاتب أن يقوله، كما أنها تعبر عن رؤيته وسعة اطلاعه وحسن توظيفه لما يقرأ، فهي من بلاغة الاختيار وبها يتميز أسلوب الكاتب عن غيره.

كما تحمل عبء استدعاء معارف المبدع التي تأثر بها واستقرت في ذاكرته، وتكشف عن دورها في تحريك مشاعر المتلقي إزاء هذا النقل سواء من خلال ربطه بأحداث النص، أو إفادته الثقافية من هذا النقل؛ فقد صارت الرواية مصدرا لتثقيف القارئ.

---

(١) الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا ، قيس النورى، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد العاشر ، العدد الأول إبريل ١٩٧٩ ، ص ١٣.

(٢) الرواية فى الوطن العربى ، على الراعى، دار المستقبل العربى ، القاهرة ، ط١، ١٩٩١ ، ص ١١٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا يقف الأمر عند التأثر فحسب بل تحدث المحاورة بين النص المنقول والقارئ الباحث عن سر وجوده في النص المقروء.

تنوعت اقتباسات الكاتب من المعارف والفنون، وحظي التراث الصوفي بمزيد وعي وعناية منه، فقد اقتبس الكاتب نصه على لسان أبي خطوة من الحكم العطائية؛ يقول ابن عطاء الله في الحكمة الثامنة والأربعون بعد المائة: "إذا وقع منك ذنب فلا يكن موجبا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك"(١)، ويظهر من هذا الاقتباس اطلاع الكاتب بهاء طاهر هنا على نصوص الحكم العطائية من كتاب إيقاظ الهمم في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري لابن عجيبة؛ يقول المؤلف في إيقاظ الهمم شارحا نص الحكمة "قلت السائر الصديق أو الواصل إلى التحقيق كالراكب المغير جاداً في المسير، كاد من السرعة أن يطير؛ فإذا وقعت منه كبوة أو سقطه أو صدرت منه عثرة أو هفوة استوى على جواده واستمر على إغارته في طلب مراده؛ فإذا سقط وجعل يتمرغ في سقطته كان ذلك دليلاً على فترته وعدم تحصيل طلبته... وتأمل ما وقع لكثير من الأكابر كانوا لصوصاً فصاروا خصوصاً كإبراهيم بن أدهم والفضيل وأبي يعزى وغيرهم" (٢)، وقد ورد في الرواية في صفحتيها السادسة والخمسين، والثامنة والخمسين بعد أن ذكر أبو خطوة الحكمة قال بعدها "إن يئست يا توفيق كنت كشخص سقط من فوق فرس، فإن ظل ساقطا على الأرض فاته

(١) الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري، شرح ابن عباد النفزي الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص٧٠.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ابن عطاء الله السكندري، للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ص ١٤٥.

بلوغ مقصده وإن جاهد ليركب فرسه من جديد وصل إلى غايته"[١]، وهو نص مقتبس بمعناه، كما ذكر في حواره مع توفيق في الصفحة الثامنة والخمسين "أتحسب أن الصالحين يولدون ملائكة؟ ألم تعلم أنه كان منهم الغواني واللصوص؟"[٢]، مما يشير بجلاء إلى أن الكاتب قد اطلع على كتابي الحكم العطائية وإيقاظ الهمم لابن عجيبة ولم يذكرهما في التنويه.

وتتوالى الاقتباسات التي كثر نقلها من الحكم العطائية؛ نذكر منها: الحكمة الخمسون؛ يقول ابن عطاء الله: "لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله"[٣]، وردت هذه الحكمة بعد أن نهى أبو خطوة الباشكاتب عن ذكر الذنوب والعودة إلى استحضارها؛ قائلا: "حين تصح التوبة فاعلم أنه لا صغيرة إن قابلك عدل ربك ولا كبيرة إن قابلك فضله وأحسن الظن بفضل خالقك"[٤]، وحسن اقتباسها في هذا الموضع؛ لأن الباشكاتب كان دائم الذكر لذنوبه الماضية حتى منعه ذكرها عن المضي قدما إلى إدراك النور، وفي كل مرة كان يلوم نفسه على تأخير تغيير عاداته.

وذكر في الصفحة الرابعة والخمسين من الرواية طائفة من الحكم العطائية؛ منها: الحكمة الثالثة: "سوابق الهمم _ لا تخرق أسوار القدر"، والحكمة السادسة والعشرون بعد المائتين: "ليقل ما تفرح به_ يقل ما تحزن عليه"، والحكمة التاسعة والخمسون بعد المائتين: "رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده"[٥]، وكذلك اقتباسه على لسان أبي خطوة من الحكمة الخامسة

(١) نقطة النور، ص٥٦.
(٢) السابق، ص٥٨.
(٣) الحكم العطائية، ص ٥٥.
(٤) نقطة النور، ص ٢٢٤.
(٥) الحكم العطائية، ص ٤٦، ص ٨٢، ص٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتسعين من الحكم العطائية "يقول أشياخنا: فقد يفتح للمرء باب الطاعة دون أن يفتح عليه بالقبول، وربما يقضى عليه بالذنب فيكون سبب الوصول"(١)، ونص الحكمة "ربما يفتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قضي عليك بالذنب فكان سبب الوصول"(٢)، وبهذا النقل يكون قد اعتمد كثيرا على الحكم العطائية دون التنويه إليها كما نوه على غيرها.

ومن النماذج التي وردت في الرواية مقتبسة من كتاب الكنز في المسائل الصوفية تحت عنوان ياقوتة في الله عز وجل؛ يقول الشيخ صلاح التجاني:"الأرواح لا تفاضل بينها من حيث إنها مدبرة، ولكن بينها تفاضل كبير في قابليتها للاشتغال النوراني، إذ لا يظهر فيك علامة منه على قدر قبول روحك وصفاء مرآتها"(٣)، ويبدو تأثر الكاتب بهذا الأسلوب؛ يقول عن الحب: "إن الحب الحقيقي التقاء روحين والأرواح لا تتنافس في الجمال ولا في الذكاء لأن كل الأرواح جميلة وذكية"(٤).

كما اقتبس منه أيضا حديث التجاني فيما جاء في مقام الزهد؛ "قال أبو يزيد كنت زاهدا ثلاثة أيام: أول يوم زهدت في الدنيا، واليوم الثاني زهدت في الآخرة، واليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله؛ فناداني الحق، ماذا تريد؟ فقلت: أريد ألا أريد؛ لأني أنا المراد، وأنت المريد"(٥)، ورد ذلك في

(١) نقطة النور ، ص ٦٠.
(٢) الحكم العطائية ص ٦٢.
(٣) الكنز في المسائل الصوفية، العارف بالله الشيخ صلاح التجاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٠٢.
(٤) نقطة النور، ص١٢٧.
(٥) الكنز في المسائل الصوفية، ص ٧٠.

مونولوج الباشكاتب في معاتبة نفسه على التراخي والمعاصي، وطمأن نفسه بالبشرى الموعودة، ولكنه كان يسخر من نفسه هل يتحقق الوعد ويكون من الصالحين، ولكنه رد قائلا: "الحكمة هي أن تتواضع! أن تتعلم ما قاله لك: أن تريد ألا تريد"(١).

لم يكتف الكاتب بالنصوص النثرية المنقولة من كتب المتصوفة بل عرج على النصوص الشعرية متخيرا نصوصا تتصل في أكثرها بالجانب الصوفي، فقد ذكر الكاتب أبياتا لرجل تقوده ابنته يقول بصوت عذب شجي، وكان يتابعه الباشكاتب كلما مر، ويهمس لنفسه: لو تدلني كيف تطمئن القلوب:

توكلت على الله ربي وخالقي وأيقنت أن الله لا شك رازقي

إن كان لي رزق فليس يفوتني ورحمة الرحمن ملجا المؤمن

وهذه الأبيات للإمام الشافعي رضي الله عنه(٢)، مع تغيير يلحق الشطر الثاني يقول الإمام الشافعي: ولو كان في قاع البحار العوامق.

وتأتي البردة للإمام البوصيري لتمثل درة هذه النصوص؛ لتكتمل بلورة الإطار الصوفي للعمل، وقد أورد الكاتب حديثه عن البردة مجملا في مواضع متفرقة، وبخاصة عند الحديث عن المولد السنوي للسيدة زينب، والمرة التي آثر ذكر أحد عشر بيتا من أبياتها، عندما أصابت سالم الوعكة الثانية بعد مواقعته لبنى، وتزامن ذلك مع مرض الباشكاتب، فأقام شعبان بعد أن تيسر حاله قليلا احتفالا على سطح منزلهم كما اعتادوا منذ جدهم السعدي والد

(١) نقطة النور، ص١٨٣.

(٢) ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م، ص ١٠٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الباشكاتب، وأنشد المنشد هذه الأبيات وعيون الباشكاتب تغرورقان بالدموع، فكم كان يؤخر مسلك الوصول إلى نقطة النور، وقد تخير الكاتب من البردة ما يصف حال الباشكاتب الطامع في الوصول؛ فبدأ مطلع القصيدة متخيرا ثلاثة أبيات هي:

أمِنْ تَذَكّرِ جيرانٍ بذي سَلَم ... مَزَجْتَ دَمعا جرى مِن مُقلَةٍ بِدَمِ

لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَلِلِ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البانِ والعَلَمِ

فكيفَ تُنْكِرُ حبا بعدما شَهِدَت ... به عليك عُدولُ الدمعِ والسّقَمِ

ثم اختار بيتين آخرين يصف فيهما حال الباشكاتب وإعراضه عن النور متعللا بكثرة ذنوبه، واليوم هو في حال الإقبال وإدراك بداية الطريق الصحيح، فقد كانت البردة التي ذكرها الكاتب في نهاية القسم الثاني مؤذنة ببداية عهد جديد مع الكرامة:

مَحّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَستُ أسمَعُهُ ... إنّ المُحِبّ عَنِ العُذّالِ في صَمَمِ

فانّ أمّارَتِي بالسوءِ ما اتّعَظَت ... مِن جهلِهَا بنذير الشّيْبِ والهَرَمِ

ثم أردف إلى ذكر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم مرددا هذه الأبيات مرة بعد مرة:

محمدٌ سيدُ الكونينِ والثقَلَيْنِ ... والفريقين مِن عُربٍ ومِن عَجَمِ

نَبِيُّنَا الآمِرُ النّاهِي فلا أَحَدٌ ... أبَرُّ في قَولٍ لا منه ولا نَعَمِ

هُو الحبيبُ الذي تُرجَى شفاعَتُهُ ... لكُلِّ هَوْلٍ مِن الأهوالِ مُقتَحَمِ

ذكر أبيات عن مولد الهادي وهجرته وجهاده وغزواته، ثم ختم الإنشاد بثلاثة أبيات يدعو الله أن يبلغه المقاصد متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ يقول منها:

يا رَبِّ بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

وقد حسن توظيف البردة في الرواية لشهرتها لدى المتصوفة والعامة، كما أن اختيار موقعها إشارة إلى بداية النهاية للرواية وللباشكاتب الحائر.

ثم ذكر الكاتب نصا شعريا آخر مكتوبا على أحد الأسبلة في ميدان السيدة زينب، وظفه الكاتب إيهاما بواقعية الأحداث ووجود المكان بكل تفاصيله عن طريق محاولة الباشكاتب العاشق للمكان قراءة بعض أبيات الشعر المطموسة المحفورة أعلى السبيل، وقد تبين من مراجعة موقع السبيل أن هذا السبيل موجود بالفعل "أنشأه إبراهيم بك المناسترلي سنة ١١٢٦٧هـ/١٧١٤م... ويوجد نص تاسيسي داخل أربعة أبحر على عتب باب السبيل، يشتمل على مدح في السبيل وصفاء مائه، واسم المنشئ، وسنة الإنشاء، يقول النص التاسيسي: سبيل الله يا عطشان فاشرب/ هنيا صافيا يشفى العليلا/ أيا ظمآن فارو به وأرخ/ بَنَا إبراهيم ستسقى السلسبيلا سنة ١١٢٦ه، والسبيل كائن حاليا بشارع عبدالمجيد اللّبان (مراسينا سابقا) بحي السيدة زينب."[١]

(١) دليل مدينة القاهرة، فاروق عسكر، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: إبريل نيسان ٢٠٠٤، الجزء الثالث، ص ٣٤٨، ص ٣٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكما اختار هذه القصائد والمقطوعات لقربها الشديد بأحوال المتصوفة، اختار قصيدة أخرى للعشق، ففي شقة لبنى حيث يلتقي سالم العاشق بلبنى معشوقته وينظر من الشرفة المطلة على نهر النيل؛ ليرى القاهرة لأول مرة من هذا الارتفاع، ولم يسبق له أن رأى النيل بألوانه الليلية وضجيج السيارات مع صغر حجمها، وقد ذكرت لبنى حبها لقصيدة النهر الخالد لمحمود حسن إسماعيل، بصوت محمد عبد الوهاب التي غناها عام ١٩٦٤م؛ واختار منها على لسان لبنى : مسافرٌ زاده الخيالُ..ظمآن والكأس فى يديه..ولم يزل ينشدُ الديارَا ويسأل الليل والنهارَا.

وتقول لبنى إنها تحب البيت القائل: يا ليتني موجة فأحكي إلى لياليكَ ما شجاني وأغتدي للرياحِ جارا. ولم تذكر بقية البيت، وهو يتصل بالبحث عن نقطة النور (وأسكب النور للحيارى)، وكأن الكاتب أراد أن يشرك القارئ في إكمال بقية البيت.

كما أورد الكاتب اقتباسا من شعر شكسبير يبين فيه ثقافة الكاتب واطلاعه؛ يقول فيه: "لا تدخل معركة، ولكن إذا دخلت فاثبت"(١)، وظفه في مونولوج لبنى وهي تتحدث عن علاقتها بسالم هل تخبره بما مضى من حياتها هل تدافع عن حبها له، وهي لا تستطيع هذا ولا ذاك.

لم يستشهد الكاتب بنصوص القرآن الكريم رغم أن التصوف والثقافة الإسلامية لشخصيات المتصوفة وجهان متكاملان، ربما عن قصد منه حتى لا تصنف الرواية كرواية دينية، وحرصا منه على التركيز على أحوال التصوف وكرامات المتصوفة كنموذج لسمو الروح، حتى أنه عند ذكر

(١) نقطة النور، ص ١٢٥.

النصوص القرآنية يذكرها بالمعنى؛ نحو: قول أبي خطوة لصديقه اليائس: "حتى المعصية تستغفر لصاحبها إن أتى طائعا ومنيبا"[١]، وهي تتناص بالمعنى مع قوله تعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)(سورة الفرقان: ٧٠)

ومع توظيف النصوص الصوفية سواء نوه بالرجوع إليها أو لم ينوه، وتوظيف النصوص الشعرية المناسبة لمقام الرواية وأحداثها ومكانها وطبيعة شخصياتها، وتوظيف الثقافة الغربية في إشارة إلى تعانق التراث والحداثة في أسلوب الكاتب، مما يعبر عن ثقافته الواسعة في استلهام التراث العربي وتوظيف الثقافة الغربية وبخاصة مع شخصيات الطبقة الارستقراطية التي تقلد الغرب، وترى في كل ما يقوله حضارة لا مثيل لها، وهم مطلعون على كتابات القدامى والمعاصرين من كتاب الغرب.

ومن بين الاقتباسات النثرية القصصية من الآداب الأوربية تلك القصة التي استخدمها في التلميح عما ذكره على لسان شوكت زوج صفاء في المطار عند استقبالهما لبنى العائدة بعد سفرها من إيطاليا، وكان بين صفاء وشوكت جفوة بعد طلاقهما، ولكن شوكت أخذ يتعجب من جمالها في هذه السن هل لا زالت تحتفظ بجمالها وأناقتها، وهنا أشار الكاتب على لسان شوكت إلى رواية (قصة صورة دوريان جراي The Picture of Dorian Gray) لأوسكار وايلد الشاعر والكاتب الإنجليزي الأيرلندي الذي عالج قضايا اجتماعية؛ كالانحلال والجمال والازدواجية في روايته هذه، وهي تدور حول شاب جميل الصورة كان بريئا أول أمره، ولما تعرض لفتن الحياة

(١) نقطة النور ، ص ١٨٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سقط فيها وساءت أخلاقه؛ ليموت في النهاية بعد أن جنى ما صنعت يداه، وقد استدعى الكاتب القصة هنا إشارة إلى الجمال النادر الذي تمتع به بطل قصة دوريان جراي وصفاء التي تحافظ على جمالها وأنوثتها رغم السنين، وجعل الجامع بينهما هو أن ما يظهر للناس من شخصيتهما غير الصورة التي تعكس حقيقتهما؛ ويقول: "لابد أن لديها مثله صورة في البيت ترتسم عليها بشاعتها وانحلالها بينما تحتفظ هي بقناع هذا الوجه البريء!"(١)

كما أفاد الكاتب من فنون إبداعية مناظرة كالنحت؛ فقد أورد الكاتب رمزية التمثال المريض الذي شاهدته لبنى فور عودتها من إيطاليا، وهو يشبه منحوتات جياكوميتي؛ يقول الكاتب: "في وسط الغرفة كان تمثال خشبي فوق حامل لرجل طويل نحيل محني الرأس. كان يقلد أسلوب (جياكوميتي) الذي تحبه، ولكن بدلا من الرشاقة والتوازن والشموخ في تماثيله كان يشبه هذا تمثالا لرجل مريض. كان تمثالا مريضا"(٢)، وقد وظف الكاتب هنا تمثال ألبرتو جياكوميتي وهو نحات ورسام سويسري الجنسية، كرس حياته لإبراز المعاناة والتعب الذي يعانيه الإنسان المعاصر جراء الهموم والمشكلات التي تواجهه، وجاءت منحوتاته يبدو عليها الموت، وربما رمز بهذا إلى الموت المعنوي، في الوقت الذي يرمز بعض نحته إلى قوة الإنسان وتوازنه، وقد وظف الكاتب جياكوميتي ونحته؛ ليلقي بظلال اليأس والحزن الذي خيم على المشهد بعد عودة لبنى من إيطاليا، لتجد الأم الحقيقية (الدادة سنية) قد ماتت، وهي التي طالما احتضنتها في طفولتها وفي شبابها، وكان سببا في مواجهة مشكلات الحياة وهمومها؛ لترى كل شيء حولها يعلوه المرض.

---

(١) نقطة النور ، ص ١٩٤.

(٢) السابق، ص ٢٠١.

في ظل المشاحنات والشجار بين والد لبنى ووالدتها، وقد كان والدها الدكتور شوكت عضوا في تنظيم شيوعي قبل أن يترك السياسية ويتفرغ لجني المال كانت لبنى تسمع أمها "وهي تصرخ فلقتنا بالإمبريالية والبوليتاريا! لماذا لا تعالج مريضاتك مجانا يا دكتور شوكت؟ لماذا لا تفعل مثل الدكتور شفايتزر، تذهب إلى غابات أفريقيا وتريحنا"(١)، وإيراد الكاتب لاسم الدكتور ألبرت شفايتزر الطبيب والفيلسوف الألماني الحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٢م، وكان يقدس الحياة ويساعد المرضى في غابات الجابون بأفريقيا، التي أسس مستشفى بها، وقد استدعاه الكاتب على لسان صفاء ليعقد مقارنة بين من يقدس الحياة ويعالج المرضى والمحتاجين في بلاد غير بلاده، وبين من يقدس المال ويسعى لامتصاص دم الفقراء في بلاده عن طريق المستشفيات الاستثمارية التي كثرت بعد الانفتاح الاقتصادي.

وجاءت الاقتباسات واضحة غير شاذة اتسمت بالقبول، ومن ثم زينت بدورها النص الإبداعي بمزيد من التناسق بين النص الأصلي والنقول الواعية المختارة المتنوعة في أسلوبها وثقافتها، وحمل الاقتباس تنوعا في ثقافة الكاتب بين التراث الصوفي والتراث الشعري والقصص الغربي وفنون النحت والاطلاع على ثقافات ومعارف أخرى، صاغها بأسلوب سهل واضح، وتنوعت فاعليته بين تقوية الحجة وضرب المثل.

(١) نقطة النور، ص ٨٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سابعا: الصورة والانزياحات الأسلوبية

تعبر الانزياحات الاسلوبية سواء كانت دلالية أو تركيبية عن قدرة المبدع على خلق لغة أدبية خاصة به، ولها دورها في النص كممارسة جمالية تنقل تجربة المبدع وطرق تأثيره في المتلقي، فلا يعد الانزياح مظهرا جماليا إلا إذا حمل أداء تعبيريا ذا قيمة، وهي في المكان الرفيع إذ تعد أهم سمات اللغة الإبداعية الأدبية.

والصورة البيانية أو الانزياحات التصويرية بما فيها من تشبيه ومجاز وكنايات مثلت البعد الدلالي لهذه الانزياحات التي تنوعت في هذا العمل، وأسهمت بدورها في فنية النص الروائي، كما عرضت بأسلوب غير مباشر قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والتغيرات الاجتماعية في أسلوب يبرز معاناة شخوص الرواية ، وقد اعتمد الكاتب كثيرا على الأسلوب الاستعاري الذي يجسد به أحيانا ويشخص به أحيانا أخرى لكشف العالم النفسي للشخصيات بما تحمله من انفعالات وهواجس؛ يقول الباشكاتب: "ولدت في أول سنة من القرن، فهل سيكتب علي أن أحمله على كتفي حتى نهايته"[(١)]، إشارة إلى ما تعانيه الشخصية من مشكلات وهموم تحملها على عاتقها سواء مشكلات أسرته شعبان وسالم وفوزية، أو مشكلات خاصة بإدراكه النور وظهور العلامة على قبول توبته.

وصورة أخرى لانزياح استعاري يصور نوازع النفس البشرية الباحثة عن إرضاء رغبات الجسد؛ يقول الباشكاتب لنفسه: "وجهك يفضح النداء الذي تخفيه خلف قناع الزهد وجسمك يكاد يمزق جلدك كي ينطلق"[(٢)] كشف

(١) نقطة النور ، ص٥٣.
(٢) السابق، ص١٠٦.

التعبير عن حاجة الباشكاتب للنساء بعد أن قمع جسده سنوات عديدة بعد زوجه سمية، ثم يعود ليستخدم الاستعارة في معاتبة نفسه؛ ويتساءل: "لماذا لم تكن تصبر أبدا على ظمأ جسدك، واستطال صبرك على ظمأ روحك؟"(١)، واستخدمت الشخصية كلمة الظمأ وهي نواة العمل الروائي في نقطة النور إشارة إلى المفارقة بين الواقع والمأمول.

كما استعار الكاتب من الشرخ رمزا للشرخ الاجتماعي الذي أصاب المجتمع؛ فالرجل يزن زوجته بما تدفعه من مال في بيتها في إشارة إلى حال فراج زوج فوزية، وشعبان يشكو من مطالبة الضرائب الباهظة ويؤجر جزءا من محله لبائع السجائر المهربة، ويستقدم من يضبط له حسابه الضريبي، وفراج تبخرت كل أحلامه في وطن ينمو ويزدهر، وفي خضم كل هذا تشعر الطبقات الكادحة بالغلاء الذي كان جديدا بعد الانفتاح، ويقف الباشكاتب وحده لإصلاح الشرخ دون مساعدة سكان العمارة؛ ليقع في يد مقاول من لصوص الانفتاح يأخذ كل ما لديه، ويغش في الترميم ليسقط بعد مدة قصيرة جانب من البيت، ويوصي الحي بالإخلاء، في الوقت الذي يتخذ الباشكاتب فيه من المكان رفيقا لرحلته ويود لو تركوه ليموت فيه، وبالفعل يرى الرجل العلامة بعد فترة ليصبح المكان رمزا للطمأنينة والسكينة.

ومن الصور الاستعارية قول لبنى بعد أن وجدت سالما، وكان قد بلغ منها الجهد والألم مبلغا كبيرا، وفقدت الأمل في المستقبل والنور والحب؛ فإذا بها تفاجأ وبدون توقع منها بقرب هذا الأمل؛ فاستخدمت الأسلوب الاستعاري لوصف حالة التيه والآلام التي كانت تعيشها، وكثرة المشكلات

(١) نقطة النور ، ص ١٧٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النفسية التي مرت بها بداية من شجار والديها حتى طلاقهما، ثم اغتصاب المدرس لها، مرورا بالوحدة في منزل والدها؛ لذا حسن تعبيرها عن هذه الحالة عند لقاء سالم والأمل في الحب؛ قالت: "ولكني بالفعل سعيدة، إذن افتح درجا داخل روحي أضع فيه تلك الأشياء وأغلقه بإحكام"(١)، في إشارة إلى كل المتاعب و الآلام التي ألمت بها، وإلى خواء الروح في مقابل رفاهية الجسد.

كما ينبئ الوصف الذي وصفت به ثريا سالما وهي طالبة في المرحلة الثانوية، وكان سالم قد خرج معها كما يفعل الشباب في هذه الفترة، ولما لم تجده يحدثها عن الحب كما يفعل أقرانه وصفته بالصنم، ولم يكن هذا الوصف من ثريا وحدها بل وصفت طالبات الجامعة سالما بالشاذ؛ لأنه لا يتحدث إلى البنات؛ وهذه الأوصاف أنبأت عن تحولات المجتمع نحو الانفتاح غير الأخلاقي، ووسم من لا تربطه علاقة بالفتيات بالصنم مرة وبالشاذ مرة أخرى.

ومن الصور التمثيلية مشهد النيل لبطلي الرواية سالم ولبنى عندما كان سالم في شقتها في أول زيارة وهي آخر زيارة له أيضا، أعجب سالم بمنظر النيل حين رآه من هذا الارتفاع قبل حلول الظلام، ولما حل الظلام وأضيئت المصابيح بدا إعلان في أعلى عمارة بالجهة المقابلة للنيل، وقد توهج باللون الأحمر "وكان يلقي على النيل أشعة حمراء متوازية ورجراجة. وقالت-لبنى- لسالم إنها تكره هذا الإعلان لأنه يعطي للنيل لونا كاذبا مثل وجه مهرج السيرك"(٢)، يعبر هذا الوصف عن نفسية لبنى التي ترى كل

(١) نقطة النور ، ص ٨١.
(٢) السابق، ص ١٣٢.

شيء كاذب ومخادع، من خلال طفولة بائسة مليئة بالمظاهر الخادعة سواء من الأب أو الأم أو حتى المدرس حمام الذي أفقدها الرمز والقدوة.

كما وقع اختيار الكاتب على شخصيات تراثية عربية وأجنبية للتمثيل؛ مثل صورة مرتضى الحاقد على سالم بشخصية ياجو في مسرحية عطيل لشكسبير، وكان مرتضى دائما يرمق سالم بنظرات كارهه؛ لأنه يراه سببا في جفاء لبنى له واتخاذها بديلا عنه، وقد كان ياجو يكره عطيل ويكيد له المكائد، وكذلك تمثيل صفاء في سخريتها من زوجها شوكت بأن يكون كالدكتور شفاتيزر يعالج مرضاه في إفريقيا، ومن التمثيل أيضا صورة التمثال المريض الذي يشبه تماثيل النحات العالمي جياكوميتي، وتمثيل لبنى للمدرس الذي اغتصبها بصورة شخصية حمام في فيلم غزل البنات التي جسدها الفنان نجيب الريحاني نظرا لعدم وسامته وإعراض النساء عنه.

وتمثيل الباشكاتب لحفيده سالم الدائم الصمت بالصحابي الجليل عبادة بن الصامت؛ متخذا من الاسم صفة لحال حفيده الملازم لتلك الصفة، وكل هذه التمثيلات بما تحمله من نقل للمشبه به يوظفها الكاتب في روايته لتلقي على النص الروائي ميزتين: الأولى: اطلاع الكاتب على الثقافات المختلفة من سيرة ومسرحية وروايات أجنبية ومشاهير ونحاتين وفنون السينما، والثانية: نقل صورة المشبه به بأحداثها كنوع من التكثيف في العمل الروائي، وطلبا للإيجاز والتركيز.

ومن الانزياحات الكنائية تلك التعبيرات التي ظهرت في مواضع اللقاءات الحميمة، وقد أجاد الكاتب في كتابة هذه المشاهد بطريقة لا تخدش الحياء؛ كقول الباشكاتب لنازلي هانم وكان يريد الزواج منها: لماذا لا نجمع الشمل. وبعد الزواج يصور الكاتب هذه العلاقة "وقالت له مرة بصوت

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مختنق وهي في حضنه: "هذه الأرض ظلت جرداء طويلا وتريد الآن أن ترتوي...راح يتعامل مع كل ذرة من جسمها، وكأنه يريد أن يستقطر منها كل ما يمكن للجسم أن يعطيه، كأنه يريد أن يرتشف مرة وإلى الأبد خلاصة المرأة"(١)، وطريقة الكاتب جيدة في معالجة المشاهد الحميمية، فقد عرض لمشهد اغتصاب المدرس حمام للبنى، وموقف مواقعة سالم للبنى، وفي الحالين جاءت المعالجة تحمل طابع الأسلوب الكنائي مع حسن توصيل الصورة، وهذه الانزياحات الأسلوبية التي كشفها الانزياح الدلالي كانت ذات قيمة جمالية صدرت عن "قرار للذات المتكلمة بفعل كلامي يبدو خارقا لإحدى قواعد الاستعمال التي تسمى معيارا يتحدد بالاستعمال العام للغة مشتركة بين مجموع المتخاطبين بها"(٢)؛ لأن مناط الحسن والشعرية اللتان تميزان النص الإبداعي تلك المخالفة للغة العادية.

ثامنا: تكثيف الاستفهام وتنوع طرائقه.

اعتمد الكاتب في بعض مواضع العمل على النفاذ داخل الشخصية عن طريق صيغة الاستفهام؛ وذلك لقدرته التعبيرية في الكشف عن الحيرة والعجب، لكن الظاهرة المميزة التي استخدمها هنا هي تكرار أدوات الاستفهام أكثر من مرة في فقرة واحدة، مما يضفي ظلالا أعمق حول المستفهم عنه، ومن خلالها يستطيع المتلقي الاطلاع على خفايا الشخصية؛ لتكتمل لديه الصورة ويصبح قادرا على استيعاب الرسالة ومراد الكاتب من خطابه الروائي، ويفاجئنا الكاتب في هذا التحول من الخبرية أو اللغة

(١) نقطة النور، ص ١١٢.

(٢) الانزياح في الدراسات الأسلوبية، سامية محصول، مجلة دراسات أدبية، الجزائر، العدد الخامس، فبراير ٢٠١٠، ص ١٨١.

التقريرية التي تسرد الوقائع و الأحداث؛ ليلتفت إلى أسلوب الاستفهام، وقد تنوع الاستفهام وطريقة السؤال؛ فكان منه سؤال الذات(المونولوج) وسؤال الآخر(الحوار)، والاستفهام الشارح أو الاستدراجي الذي يعرض من خلاله وقائع لكن على طريقة الاستفهام؛ لتوصيل الخبر مرة أو مشاركة المتلقي للأحداث مرة أخرى.

ومما أعان هذه الصيغة التي فجرت صراعات الشخصيات تقنية المونولوج الداخلي هذه الآلية القادرة على كشف حديث النفس لشخصيات العمل؛ مما يعطي دورا أكبر في الدخول إلى عوالم الشخصية وقراءتها قراءة كاملة، فعرض أفعالها وحواراتها يكشف جانب الظاهر، ويبقى جانب الباطن الذي يكشفه المونولوج الذي "هو تكنيك مستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية، والعمليات النفسية لديها"(١).

وهنا نلحظ في الرواية عدة تكثيفات للاستفهام تأتي متتابعة، وعند قراءتها لا تكون كأي استفهام عادي بل لها أثر البوح عن أمور عجزت الشخصية أن تجد لها حلا، ومنها:

التكثيف الأول للاستفهام يظهر من شكوك سالم نحو سلوك والده الجاف في طباعه تجاهه وتجاه أخته، فيستنكر أن تكون أمه قد ماتت دون تدخل منه، إشارة إلى أن هذه الطباع بفظاظتها لا يمكن أن تخلو من مشاركة في موت أمه؛ وبخاصة أنها ماتت في سن الشباب، فسأل جده عن دور أبيه في موت أمه، "ما الذي فعله أبي لتموت أمي وأمه؟... لاتكذب يا جدي!..

(١) تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة وتقديم د.محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٥٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لماذا يهرب أبي مني، لماذا يهرب من كل إنسان، من فوزية ومنك؟ لماذا ليس له أصحاب؟ لماذا لا يزوره أحد ولا يزور هو أحدا؟ لماذا يحول وجهه بعيدا كلما كلمته أنا ولماذا ينظر في الأرض حين تكلمه أنت. ما الذي فعل أبي؟"[١]، الاستفهام هنا غيري (مع الآخر) من خلال الحوار بين الحفيد والجد كاشف لرفض الشخصية لعادات الأب ومعاملاته؛ وذلك لسلطوية الأب على الابن؛ فقد منعه من الاختلاط بأبناء الجيران، وكان يعيِّره بجماله وبأنه يشبه البنات، ما دعاه إلى التنفيس عن انفعالاته من خلال شتائم صوبها في جلسة جمعت الجد والأب وأخته دون أن يدري ما يقول، فإذا عجز الوعي عن التعبير تفوق اللاوعي لإثبات الذات المثقلة بالهموم والأسئلة التي لا تدري لها جوابا.

التكثيف الثاني للاستفهام بعد لقاء سالم بثريا وهو في السنة الثانية من الثانوية، وكان هذا اللقاء أول لقاء يجمعه مع بنت، وجاء بناء على موعد منها، لم يستطع أن يتكلم وشعر بالعجز عن التواصل معها؛ لذا صدرت منه عدة تساؤلات بعد أن خرجا معا ولم يتكلم أو يعبر كالفتيان في مثل سنه "وبعد أن افترقا راح يسأل نفسه في غضب لماذا؟ لماذا كان خائفا إلى هذا الحد؟ لماذا تستطيع ثريا أن تتكلم ولا يستطيع هو؟ ما الذي يشل لسانه؟ لماذا يمكنه أن يتكلم مع جده وفوزية عن أشياء كثيرة والآن ضاعت كل الأفكار والألفاظ؟ ولماذا لم يعالجه الطبيب الذي أخذه أبوه إليه قبل سنوات؟ لكن يعالجه من ماذا؟...فما الذي يمنعه من أن يتكلم مع ثريا؟ ولماذا كان يخاف من مقابلتها والخروج معها؟ لولا مشاجرته مع الطالب

(١) نقطة النور، ص ٤٣.

الذي قال له إنه ليس رجلا ما دام لا يعرف بنات لما استجاب لموعدها من الأصل، والآن ما العمل؟"[١]

في هذا الاستفهام الذاتي عبر الكاتب هنا عن اللاوعي الذي ترفض الشخصية من خلاله مثل هذه العلاقات، ويعدها أمرا مخجلا، وبخاصة إذا كانت لإثبات الذات، ومن خلال الصراع الداخلي بين إثبات الذات وبين رفض إثباتها بهذه الطريقة؛ وقع سالم فريسة الصمت الذي أشعره بالعجز، فتساءل عن السبب عما هو فيه، ويبين الكاتب هنا بداية الانفتاح الأخلاقي الموازي للانفتاح الاقتصادي؛ فالبنت هي التي تعطي الموعد، وهي التي تتحدث بطلاقة بل تصفه بالصنم؛ لأنه لا يتكلم كالفتيان، وهي التي قطعت العلاقة بعد أن خرج معها مرة ثانية ولم يتكلم ولم يقل شيئا يرغبها في استمرار التواصل معه.

التكثيف الثالث للاستفهام وهذا التساؤل هنا من نصيب لبنى التي ولدت لأبوين ليس بينهما أي نوع من التناسب، مما جعلها تشهد الشجارات اليومية بينهما ولا تعرف السبب، "تساءلت لبنى إذن أيكون هذا هو السبب في أنها تركته؟ هل كان يخونها مع غيرها؟ هل كان ينشغل عنها كثيرا بعمله؟ كيف ستعرف؟ كانت صغيرة جدا عندما حدث الطلاق في العاشرة من عمرها، تركتها أمها لأبيها دون أي شجار. دون أي ندم! كيف تعرف إن كان هذا صحيحا؟ لا أحد منهما يتكلم"[٢].

(١) نقطة النور، ص ٦٥.
(٢) السابق، ص ٨٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كشف الاستفهام الاستدراجي الذي يبغي فيه الكاتب مشاركة المتلقي عن مشكلات لبنى ضحية الخلافات الأسرية التي كان الانفتاح سببا من أسبابها؛ فالأب وجد المجال مفتوحا للثراء والشهرة، فانحرف سلوكه ولم يحفظ أسرته، فتركته زوجه صفاء لتتزوج برجل آخر، ولم يحم ابنته من الاغتصاب؛ فعبر الاستفهام عن حال أسرتها، وعن خيبة أملها وإدراكها لأنانية كل منهما، فبدا حالها أكثر ألما مع الإحساس بالضياع بين عمل والدها، وترك أمها لها دون ندم، وهي لا تعرف سببا لذلك، كل هذه التساؤلات كشفت عن جانب الحيرة والتخبط والخوف وعدم الثقة في أفعال الشخصية.

التكثيف الرابع للاستفهام بعد الحادثة بين سالم ولبنى لم يكن في ظن سالم أن يحدث هذا اللقاء خارج نطاق الزواج، لذلك شتمها وشتم أهلها وسب كل من تعرفه لبنى وخرج لا يعرف وجهته، فاتجه إلى البيت وحاول أن يحكي لجده لكنه قال له في الصباح ووجهه إلى النوم، وبدا رفضه في دعك جسمه تحت الماء حتى كاد يدميه، وعاد بخياله ليتذكر ما دار بينهما، وراح يتساءل عدة تساؤلات لا يذكر ماذا حدث بالضبط "يذكر أنه كان سعيدا جدا، ثم ماذا؟ كيف تركها وكيف خرج من الشقة؟ هل طلبت منه مرة ثانية أن يخرج كما طلبت من قبل؟ هل خرج من تلقاء نفسه؟ هل قبلته وأوصلته بنفسها إلى الباب؟ هل نزل السلم على قدميه أم ركب المصعد؟ عاد ماشيا على قدميه أو ركب الأتوبيس؟.. لا تحاول أن تهرب. ليس سوى معنى واحد. رجعت الحالة. فماذا فعلت أثناءها وماذا قلت؟"[١]

(١) نقطة النور، ص١٤٢.

الشخصية هنا لا تحتمل انهيار الحلم الجميل الذي بنته، فللأول مرة يشعر بالحرية في الحديث دون قيد مع لبنى، ويعترف بحبه هذا لجده، كل هذه الآمال في الحب الحقيقي تبخرت وتحطمت على صخرة هذا اللقاء الذي جعل سالما يشعر بعقدة الذنب تجاه فعلته، هذه الواقعة أفقدته عقله وتوازنه فلا يدري إن كان حلما أم حقيقة لا يذكر شيئا مما حدث، كأن الحالة قد عادت إليه حين كان يسب ويشتم ثم يهدأ ولا يعرف ماذا قال، هذه التساؤلات معبرة عن حالة التشتت والرفض الداخلي للشخصية لهذا الفعل عموما ومع لبني خاصة، لم يتوقف الأمر عند هذا بل خرج في الصباح ليسأل عنها صديقتها دعاء، ثم اتجه إلى عيادة والدها، ولما عرف أنه قبض عليها وتم اعتقالها لوجود منشورات في بيتها، وأيقن من فشله في الوصول إليها والاعتذار لها ووعده بإصلاح الخطأ، عادت إليه الحالة بشراسة ليقع فريسة الهذيان والهلاوس مرة ثانية، وقد كان للاستفهام الذاتي قدرته على كشف بواطن الشخصية المكلومة.

التكثيف الخامس للاستفهام جاء التكثيف الأخير للاستفهام في نهاية الرواية من خلال مونولوج داخلي لصفاء والدة لبنى بعد أن وصلت إلى المطار لاستقبال ابنتها العائدة من إيطاليا، ووجدت طليقها شوكت في انتظار لبنى أيضا، فطلبت منه لقاء لبنى معا لرفع الحرج عنها بدلا من لقاء كل واحد منهم على حدة، ثم بدأت في التساؤل عن علاقتها بلبنى وتقصيرها في حقها، "لا تستطيع أن تغفر لنفسها ابتعادها عنها هذه السنين الطويلة، لا تستطيع حتى أن تفهم السبب. هل كانت تهرب منها لأنها بنت شوكت؟ وما ذنبها؟...هل كانت تخاف أن تعرف لبنى الحقيقة؟ ما الجريمة في هذه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحقيقة؟ صدقي أنقذها من الجنون مع شوكت...ماذا كانت ستفعل لولا صدقي؟"(١)

في هذا المونولوج الطويل الذي حوى استفهاما ذاتيا استدراجيا عرضت صفاء لطبيعة علاقتها بصدقي الذي تزوجته بعد شوكت من خلال تمثيلية اتفقا عليها معا للطلاق من شوكت؛ بأن يجعلاه يشك في وجود علاقة بينهما ليتم الطلاق، وبالفعل نجحا في ذلك، وتركت له لبنى سنوات طويلة حرمها شوكت منها، ولما خرجت لبنى من السجن بعد حادثة المنشورات وما حدث بينها وبين سالم في تلك الليلة؛ أصاب لبنى انهيارا عصبيا؛ فأرسلها والدها إلى مصحة في إيطاليا لتلقي العلاج، فعادت بتلك التساؤلات التي تحاول من خلالها تبرأت ساحتها من إهمال لبنى والتقصير في حقها، ووضعت المتلقي من خلال المونولوج الداخلي الذي تمثل التساؤلات جزء منه في قلب الأحداث لتكتمل الصورة عند المتلقي.

هذه التساؤلات المكثفة التي تخير الكاتب مواضعها من العمل، واختار لها الشخوص التي يرغب في كشف اللثام عن صراعاتها الداخلية؛ إما من خلال تنوع الاستفهام وتكثيفه عبر الحوار أو المونولوج الداخلي، كان من نصيب سالم حوار مع جده عن أبيه، ومونولوج داخلي بعد أول لقاء مع بنت، ومونولوج آخر بعد مواقعة لبنى في بيتها، وكان من نصيب لبنى مونولوج حول علاقة أمها بأبيها، ومونولوج أخير لصفاء لعرض علاقتها بابنتها لبنى.

(١) نقطة النور، ص ١٩٦.

ومن خلال هذه الدراسة تبين ما يلي:

- جاء الخطاب الروائي لبهاء طاهر مستندا على وقائع الرواية في فترة السبعينيات متخذا من الإطار الصوفي مدخلا لعرض التطورات السياسية في البلاد ونقد الواقع الاجتماعي في تلك الفترة، وهي الفترة التي منع فيها الكاتب من الكتابة ما بين عامي ١٩٧٥م -١٩٨٣م.
- تنوع سيمياء الأسماء سواء الشخصيات الرئيسية أو الثانوية، وقد جاءت اختيارها موافقا لدرامية العمل وأحداثه وفكرته الكبرى.
- ازدحام الرواية بأنواع المفارقات والتناقضات التي أصابت المجتمع المنتصر الذي يستشرف المستقبل للنهوض وحل جميع مشكلاته بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣م، لكن هذا لم يحدث، ففجرت معالجة الأحداث ثراء في أنواع المفارقات؛ مثل: مفارقة العنوان، والحدث، والمفارقة الزمانية والمكانية، والمفارقة الدرامية.
- جعل الكاتب المكان بطلا لروايته من خلال اختيار ميدان السيدة زينب لتسليط الضوء على الطبقة الشعبية في مقابل اختيار منطقة جارن سيتي لعرض الطبقة الأرستقراطية والأثرياء الجدد تجار الانفتاح، فظهرت المفارقة واضحة بين الثقافتين وبين الطبقتين.
- استلهم الكاتب التراث الصوفي وبنى روايته عليه؛ عارضا لظمأ الروح عند شخوص العمل الذين يمثلون طبقات المجتمع المتباينة.
- ذكر الكاتب شخصيات أجنبية في العمل للتمثيل تارة، وللاقتباس من مقولاتها؛ دلالة على اطلاع الكاتب على الآداب الغربية والتراث العربي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- تقسيم العمل إلى ثلاثة أقسام سالم ولبنى والباشكاتب مع تداخل أحداث سالم وجده في القسم الأول، وسالم ولبنى في القسم الثاني، والثلاثة في القسم الثالث، وجعلهم معادلا موضوعيا للجسد والنفس والروح.
- أفاد النقد التكويني في معرفة مصادر الكاتب واطلاعاته؛ وبخاصة على كتب التصوف التي نوه عن بعضها، ولم ينوه عن بعضها الآخر، فأبانت الدراسة هذه المصادر.
- حسن اختيار الكاتب للانزياحات الأسلوبية وبخاصة الصورة ، وقد أوضح من خلالها ثقافة الشخصيات، وفهمهم للواقع، مع تقريب الصورة للمتلقي، وكشف الغموض عن كثير من الصراعات من خلال الأسلوب الاستعاري والكنائي والتمثيل وغير ذلك.
- حمل الاستفهام في أسلوب الكاتب تنوعا وتكثيفا وزخما يحشد القارئ للتأثر بهذا الخطاب الذي يصب في فكرة الرواية، وهي معالجة قضايا الانفتاح وما خلف من مشكلات، وتنوعت طرق الاستفهام بين الذاتي والغيري والاستدراجي الشارح.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر

- نقطة النور رواية بهاء طاهر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠٥م.

ثالثا: المراجع

- أساليب السرد في الرواية العربية، د. صلاح فضل، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط١، ٢٠٠٣م.
- الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، قيس النورى، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد العاشر، العدد الأول إبريل ١٩٧٩.
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم ابن عطاء الله السكندري، للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- تفسير الأحلام، سيجموند فرويد، تبسيط وتلخيص د. نظمي لوقا، دار الهلال، ط١، ١٩٦٢م.
- تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ، د. حسن البنداري، مكتبة بورصة الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة وتقديم د.محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.
- الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري، شرح ابن عباد النفزي الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- دليل مدينة القاهرة، فاروق عسكر، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي، إبريل نيسان ٢٠٠٤، الجزء الثالث.
- ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- الرواية السياسية، د. طه وادي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الرواية فى الوطن العربى، على الراعى، دار المستقبل العربى، القاهرة، ط١، ١٩٩١.
- الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، دار فارس للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤م.
- سوسيولوجيا الرواية السياسية، صالح سلميان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.
- سيمياء العنوان، بسام قطوس،،مكتبة كتانة، إربد، ط١، عام ٢٠٠١.
- ظمأ الروح أو بلاغة السمات في نقطة النور لبهاء طاهر، د.محمد أنقار، منشورات مرايا، المغرب، ٢٠٠٧م.
- فن الرواية العربية، بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، د. يمنى العيد، دار الأدب، القاهرة،٢٠٠٢م،.
- الكنز في المسائل الصوفية، العارف بالله الشيخ صلاح التجاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تأليف مجموعة من الكتاب، ترجمة: د. رضوان ظاظا، مراجعة: د. المنصف الشنوفي، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٧٩م.

- المفارقة وصفاتها، دي سي ميوك، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤ، دار المأمون، للترجمة والنشر، ط٢، ١٩٨٧م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥ م.
- المصطلح السردي، جيرالد برانس، ترجمة عابد خزندار، راجعه وقدم له محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- النص الكلي، د. يوسف حسن نوفل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عام ٢٠٠٤م.

رابعا: مواقع الانترنت ومجلات

- الانزياح في الدراسات الأسلوبية، سامية محصول، مجلة دراسات أدبية، الجزائر، العدد الخامس، فبراير ٢٠١٠م.
- حوار مع الكاتب بهاء طاهر عن رواية نقطة النور في لقاء مع أ. سمير جريس، القدس العربي، ع ٤٢١٧، ٢٠٠٢/١٢/٦م.
- قاموس المعاني، معاني الأسماء على شبكة الانترنت، موقع https://www.almaany.com/ar/name/%D%٨B%٤D%٨٨%٩D%٨٣%٩D%٨AA

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٦٤٨٧
٢-	Abstract	٦٤٨٨
٣-	تقديم	٦٤٨٩
٤-	أولا:العنوان ودلالات أسماء الشخصيات	٦٤٩١
٥-	ثانيا:فنية الرؤى والأحلام ومستواهما الجمالي	٦٥٠٠
٦-	ثالثا:دور المفارقة في الكشف عن خبايا الشخصيات وآفات المجتمع.	٦٥١٥
٧-	رابعا:الإطار الصوفي والنقد التكويني	٦٥٤٢
٨-	خامسا:البناء السردي والمراوغة السياسية	٦٥٤٧
٩-	سادسا: فاعلية الاقتباس بين تقوية الحجة وضرب المثل	٦٥٥٣
١٠-	سابعا: الصورة والانزياحات الأسلوبية	٦٥٦٤
١١-	ثامنا: تكثيف الاستفهام وتنوع طرائقه.	٦٥٦٨
١٢-	النتائج	٦٥٧٥
١٣-	المصادر والمراجع	٦٥٧٧
١٤-	فهرس الموضوعات	٦٥٨٠

تم بحمد الله